

من أبي ذر إلى رئيس التحرير :

لا يستطيع ابو ذر ان يضع كل من يستحق على السفود ، والا لاحتاج الى مصنع خاص لانتاج القضبان الحديدية والى مثل نار جهنم لا تحتاج الى وقود من خارجها . ثم هب ان ابا ذر قد اخذته العزة بالحق ، فحمل رئيس التحرير على سفوده وشواه ، فاصدر الشواء قرارا بالاستغناء عن الشاوي فماذا تكون النتيجة؟ .. يختفي ابو ذر ويعود الى عزلته . الحق ان ابا ذر لم يعد يستطيع الا مكرها - وعسى الا تكرر هوه - ان يختفي من صفحات " الشورى " ويعود الى عزلته . الم يقل من قبل ان نقد " الشورى " قد اصبح مصدرا عظيما لتنمية ثقافته. ثم ما بالكم بمعزل عرف متعة المناكفة والمداعبة والمشغبة مع اصدقاء لا يعاديهم ولا يتمنى ان يعادوه . اعني كتاب "الشورى". ان رائحة الشواء قد ربطت ابا ذر و"الشورى" بمواثيق عاطفية مليئة بالشوق والامل كتلك الروابط التي تحمل الجوعى على ان يمروا ثم يعودوا ثم يمروا امام مطاعم " الكباب ". شوق وامل في ان يتحقق في " الشورى " شعارها ولا يبقى مطبوعا على غلافها الممزوق .

هذه العواطف التي لم تتجاوز الشوق الى اللقاء ، وما تجاوزت الامل الى الواقع، والتي يؤججها الحرمان- كما لا بد ان يعرف الشباب - تحمل صاحبها على ان يكون مشغولا فكريا ونفسيا بموضوع عاطفته . وموضوعها بالنسبة الى ابي ذر- وليس بالنسبة الى الشباب بالضرورة- هي "الشورى" عندما تصبح شكلا وموضوعا "مجلة الفكر القومي التقدمي" ..

وما الذي يستطيعه العطوف المشوق المؤمل.. ايها الشباب - الا ان يتمنى؟ ..

في اكثر من عدد قلت صراحة وضمنا ان "المادة" التي تنشر في الشورى ما تزال "اخف" من الشعار الذي تحمله . وحرصت الكتاب على ان يتعبوا انفسهم- قليلا- حتى تأتي مقالاتهم مراجع للدراسة يفيد منها الجيل العربي الجديد . موضوع محدود ولكن مدروس خير الف مرة من موضوع طويل انشائي اللغة ، غني التعبيرات ، فقير المضمون . ولما كنت منحازا الى القراء ضد "الشورى" وكتابها، وكنت اعلم من خبرتي الطويلة ان مخازن القراء- من الشباب خاصة- مليئة بمواد فكرية غنية لاتجد طريقها الى صفحات "الشورى" ، ربما لان الشباب يتهيئون الكتابة، فقد اقترحت على "الشورى" ان تنشئ بابا ثابتا لرسائل القراء والرد عليها ، هذا الباب لم يظهر بعد. اعني ان ابواب " الشورى " ما تزال مغلقة على نفر من الكتاب يكاد المرء ان يحصيهم عددا على اصابع اطرافه. ومهما يكن هؤلاء من الكفاءة فان للكفاءة وحتى للعبقرية حدودا. ولا يسع انسان الا ان يكرر نفسه او بعضها اذا حملها على الكتابة المتكررة .

وسنضرب فيما بعد مثلا.

قبل ان نضرب المثل ، نعلن للقراء اننا اقترحنا على الشورى اقتراحا يغنيها ولا عيب فيه. اعلنه لاحرض القراء على ان يساندوه او يقترحوا بدائل عنه. او اضافات اليه. ذلك لانه- والخطاب الى القراء من الجيل العربي الجديد - ما دامت الشورى قد حملت على غلافها شعار " مجلة الفكر القومي التقدمي " فان ملكيتها الفعلية - وليست القانونية- قد آلت الى القوميين التقدميين وخاصة الجيل الجديد منهم . ذلك الجيل الذي لم تنفذ بعد قوة ابداعه ولم تجف منابع خياله. ولا يقبل القوميون التقدميون، شيوخا وكهولا وشبابا ، ان تطبع الشورى " سند ملكيتهم " على غلافها ثم يحتكرها نفر لاقلامهم .

كان المدخل الى اقتراحي سؤالاً : لماذا لا تكون " الشورى " مصبا تلتقي فيه كل الافكار القومية التقدمية المنشورة ، ويدور على صفحاتها حوار بالكلمة مع كل المجالات الفكرية التي تصدر في الوطن العربي؟ .. اقترحت- كاجابة- اضافة باب ثابت جديد قد يكون اسمه " قالوا.. وقلنا " تلخص فيه الشورى المقالات الجيدة التي تنشر في اية مجلة اخرى ويعلق عليها كتاب من " الشورى " او من خارجها او من القراء انفسهم، بحيث يصبح قسم من رسائل القراء تلخيصا لما يقرأون في مجلات اخرى وتعليقا عليه . لو نفذت " الشورى " هذا الاقتراح لاصبحت فيما اعتقد، اغنى مادة مما عليه الان . والمادة الغنية هي وحدها مقياس نجاح اية مجلة فكرية ..

وهذا رأي جديد من ابي ذر الى رئيس التحرير..

ان رئيس التحرير غير محروم، اعني ليس محرما عليه، التعبير عن افكاره في مجلة " الشورى " اذا اراد ذلك . ان اراد فعليه ان يقف في صف الكتاب . ان يقدم مقالة لها عنوان يحدد ويلخص موضوعها وتحتها توقيع مسؤول عنه. ثم ان ينتظر دوره على السفود . ولقد سكتنا وصبرنا عاما على رئيس التحرير ، وهو ينشر افكارا وخواطر مجزأة موزعة على الاعداد ، عددا عددا، في مسلسل لا نعرف الى اين ينتهي . ومتى تنتهي تحت عنوان " الافتتاحية " وتوقيع " رئيس التحرير " .. لم يستطع ابو ذر ابدا ان " يضبط " رئيس التحرير متلبسا بفكرة محددة البداية والمضمون والنهاية في عدد معين ، لينقدها او يعلق عليها . ان هذا اسلوب خطر.. وخطير . اما انه خطر فلأن للكفاءة وحتى للعبقرية حدوداً كما قلنا من قبل . ولا يستطيع الاخ جمعة المهدي الفزاني أو غيره ، ان يبدا سلسلة افكار ويواليها حلقة حلقة طوال عمر المجلة المديد . انه سيكرر نفسه. انه سيناقض نفسه مرة . انه سيفلت كل مرة من السؤال . ماذا يريد ان يقول رئيس التحرير .. لان الاجابة في كل مرة ستكون : انتظروا العدد القادم من كبرياء جمعة المهدي الفزاني ، ولكل كاتب كبرياء لا يعرفها الا الكاتب ، قد تحمله على انكار انه يجهد فكره وقلمه اجهادا مستمرا خوفا من ان يكرر نفسه ويناقض نفسه . ان ابا ذر يتدخل ليقول : كفى يا رئيس التحرير.. بارك الله فيك ولكن كفى . ان الخطر عليك له نتائج خطيرة على المجلة . اهمها الا تكون الافتتاحية مقروءة . ولا نريد لمجلة الفكر القومي التقدمي ان تحمل كلمة واحدة غير مقروءة.. !

نحن نعلم ان اسلوب " الافتتاحية " كما كتبها رئيس التحرير في العام الاول من " الشورى " اسلوب دارج . انه متكرر في كل مجلة تقريبا.. ولا يفعل جمعة المهدي الفزاني الا ما يفعله رؤساء تحرير المجالات المماثلة في الوطن العربي . ولكن - يا اخ - جمعة هذا هو " مربط الفرس " كما يقولون. لا ينبغي لمجلة الفكر القومي التقدمي ان تكون " مثل " باقي المجالات ، لا في الشكل ولا في المضمون ولا في اسلوب تقديمها الى القراء تحت عنوان " الافتتاحية " .. ابو ذر يدلك على الحل في مجلة فكرية كان عمرها قصيرا ، ولكنها- في عمرها القصير- كانت متفوقة في افتتاحيتها. انها المجلة الوحيدة- على قدر ما اعرف- التي كانت افتتاحيتها تقرأ قبل موادها ، وكانت تغني- في بعض الاوقات- عن قراءة كل موادها، وكان القراء يتصفحون الافتتاحية من كل عدد قبل ان يشتروه .

انها مجلة " الفكر المعاصر " التي ظهرت في القاهرة ثم اختفت . اختفت لاسباب لا علاقة لها باستحقاقها الحياة الطويلة . كان رئيس تحريرها الدكتور زكي نجيب محمود كان يكتب افتتاحيتها في كل عدد. ويكتب فيها مقالات مستقلة من حين الى حين . كان الدكتور زكي نجيب محمود يقرأ كل المقالات المرشحة للنشر- واخذ بالك يا اخ جمعة- ثم يختار منها لكل عدد مجموعة من المقالات تتضمن فكرة " مشتركة " او افكارا متعددة " متكاملة " ثم يفتح العدد بمقال يعرض اهمية الفكرة المشتركة، او الافكار المتكاملة مشيرا الى الزوايا المختلفة التي نظر منها كل كاتب الى ذات الفكرة او الافكار. كانت الافتتاحية عرضا واعيا للمقالات الرئيسية- على الاقل- بدون ان تكون تلخيصا لها. كانت " فاتحة شهية " للقراء ولم تكن " وجبة " موازية او بديلة.

ارجو ان يجرب الاخ جمعة المهدي الفزاني هذا الاسلوب في كتابة افتتاحيات " الشورى " . ان لديه كل ما يلزم لنجاح التجربة. وعندما يرجو ابوذر فلأنه - كما قال اولاً- لا يستطيع ان يضع كل من يستحق على السفود .

ويا ايها القراء من الجيل القومي التقدمي الجديد ، امطروا محرري " الشورى " باقتراحاتكم ورسائلكم. ولتنتهمر عليهم افكاركم حتى تغرقهم . فلعل " الشورى " ان تكون في حاجة الى طوفان من الافكار الجديدة لتطفو صاعدة الى مستوى شعارها ..

الى ان تفعلوا، سيكتفي ابوذر في هذا العدد بأن يجذب بعض الكتاب من الظل الى الشمس . ان الحر الذي يحرض على التقوى لأنه يذكر بنار الآخرة ، لكاف لكتاب العدد الثاني (السنة الثانية) من "الشورى " . ولعل لابي ذر مآرباً آخر من جذب بعض الكتاب من الظل الى الشمس . لعله يريد ان يراهم القراء جيداً ويعرفوهم معرفة واضحة . فالحق الحق اقول لكم ان العدد الثاني من السنة الثانية من الشورى كان جيداً . ولقد اجاد كتابه جميعاً الا نفر قليل .. وسيكون حرقاً للافكار اذا ما احترق ابو ذر وضع كل شي على سفوده حتى الافكار الناضجة.. وما كان ابوذر يوماً الا من المصلحين .. اقصد الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ...

تكرار البيطار:

يعرف قراء الشورى الدكتور نديم البيطار منذ العدد الثاني من السنة الاولى حيث عرضت الشورى ملخصاً لكتابه " نحو الارتباط بمصر الناصرية او طريق الوحدة العربية " . في ذلك التلخيص جاءت فقرات لاتنسى . منها " قصور الفكر وحدوي في تناوله قضية الوحدة لانه لا يضيف الى معرفتنا وحدوية شيئاً ويقتصر اثره على شحذ وايقاظ مشاعرنا و تطلعاتنا وحدوية . وعلى الرغم من حاجته الى مثل هذه الدراسة الا انها غير كافية " . ومنها " ان من مهمة الفكر ان يمارس عبر ذاته، قوة دافعة نحو الوحدة ، لان قوة الفكر الثوري تكمن في قدرته على اعطائنا صورة جديدة عن تجارب نعانيها مما يعني تحولاً في الوعي ، مهمة اخراجنا من المألوف " . ومنها : " الفكر وحدوي اصبح يتحرك في مكانه تقريبا في عالم فكري مألوف عادي استنزف فيه امكانياته وقد اصبح لزاماً عليه الانتقال الى مرحلة جديدة يكشف بها عن امكانيات وطاقات جديدة .. تصحيح الوضع وحدوي اذن يحتاج الى نظرية وحدوية جديدة " . ومنها : " ان الفكر وحدوي يجب ان يرتفع من زاويته الخاصة فيشغل نفسه اولاً بالقضايا والعناصر الاساسية العامة الدائمة التي تنطوي عليه التجربة وحدوية " . ومنها اخيراً : " ان المسألة لم تعد اليوم هل نريد الوحدة ام لا؟.. او هل نحن امة واحدة تحتاج الى الوحدة ام لا؟.. وانما المسألة الان هي كيف نصل الى الوحدة ؟ كيف نحققها ؟ ماهي الطريق اليها؟..

الذي لخص الكتاب وعرضه هناك في العدد الثاني من السنة الاولى هو الاخ عبد الرحمن شلقم او شلجم، لست ادري ، فان المطبعة قد وضعت قافاً فوق الجيم ، على أي حال يستويان فننطقهما واحد في لهجة جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي وصعيد مصر . المهم ان الاخ عبد الرحمن كاتب " عفريت " (من النباهة لا من الشيطنة) فقد ذكر في عرضه للكتاب تعليقا على ادانة الفكر وحدوي. ان المؤلف " يكتفي " بان يقول ان كل ذلك ينطلق من مفاهيم تبشيرية غير موضوعية تدل على خطأ فكري وليس على وعي علمي ، تعبر عن رغبات ومشاعر وانفعالات وليس عن وقائع وقوانين تحتل طبيعة وجوهر العملية وحدوية". والعفرتة (بمعنى النباهة) تكتفي بكلمة "يكتفي" لنقول . ان صحت الادانة فماذا تقدم انت؟..

في العدد الثاني من السنة الثانية يعود الدكتور نديم البيطار فيعيد ذات الحكم بالادانة على الفكر الوجودي مستعملا الجمل ذاتها ، الالفاظ ذاتها ، المعاني ذاتها ، ... و " يكتفي " بها ايضا كما فعل من قبل ...

يقول مثلا :

- ١- اكثرية الفكر الوجودي الساحقة اصبحت عاجزة عن اضافة اي شيء مهم ، اساسي ، الى معرفتنا الوجودية واثرها يقتصر بشكل خاص على شذو وايقاظ مشاعرنا وتطلعاتنا الوجودية وتنبية افكارنا الى المقصف الوجودي . هذا- وان كان ضروريا- الا انه غير كاف .
- ٢- انه يحتاج كي يمارس قوة دفع فعالة نحو الوحدة الى معرفة وحدوية علمية جديدة عامة شاملة تسد خطاه وتضبط قواه ووجهته، وهذا لم يتوفر بعد للفكر الوجودي .
- ٣- هذا الفكر الوجودي استنزف امكاناته ولم يعد بمقدوره ان يدفع بشكل فعال العمل الوجودي الذي اصبح يحتاج الى قفزة كبيرة من التفكير الوجودي .
- ٤- المسألة لم تعد اليوم هل نريد الوحدة ام لا ؟ .. أو هل نحن امة واحدة ام لا ؟ .. هل نحتاج الى الوحدة ام لا . فالشعب العربي اجاب بوضوح على تساؤلات من هذا النوع المسألة الآن هي كيف نصل الى الوحدة ؟ كيف نحققها، ما هي الطريق اليها؟..

ماذا يمكن ان يقول حتى ابو ذر في مثل هذا التكرار. كيف تعيد الشورى على صفحاتها ما سبق ان نشرته. ان كانت ذاكرة محرريها ضعيفة فان ذاكرة القراء حادة .. وماذا نقول للاستاذ الدكتور نديم البيطار نقول .. لقد حسب ابو ذر الذي يتتبع ، بعناية، ما كتبه منذ ١٩٦٤ ، انك اهتديت الى حل "وحدوي" تقدمه الى الجيل الجديد يوم ان نشرت كتابك " نحو الارتباط بمصر الناصرية او طريق الوحدة العربية ". وكان يتوقع منك وانت استاذ من اساتذة الفكر القومي ان تبدأ من تلك النهاية. ان تكتب بعدها عن اسلوب وادوات وطرق وتفاصيل حركة الارتباط بمصر الناصرية من حيث هو طريق الوحدة العربية؟.. ولكنك عدت ، وانت استاذ كبير، تردد اتهاماتك للفكر الوجودي، كأنه لا يكفيك ما يقوله اعداء القومية والوحدة.. ان الرد على هذه الاتهامات سهل . ونستطيع ان نعين لك افكارا وحدوية لا تنقصها العلمية ولا الواقعية... والكتاب القوميون الوجوديون ينتصرون انتصارا ساحقا في كل مرة تحاول فيها القوى اللاقومية واللا وحدوية اتهام الفكر القومي الوجودي بمثل ما تتهمه انت به . ولكن المسألة- يا استاذنا- ان الوجوديين يخوضون على كل المستويات، بما فيها المستوى الفكري ، معارك ضارية ضد اعداء الوحدة . وهم يرون ان الكلمات مثل كل الاسلحة، لا يمكن ان تكون محايدة . وعلى كل صاحب فكرة ان يأخذ مكانه الى جانب رفاق معركته. ومن هنا فانهم لا يقبلون- الان على الاقل- ان يدخلوا معارك جانبية ضد رفاقهم . انهم يتحاورون فيما بينهم. ويعارض بعضهم بعضا. ويختلفون . وقد يتخاصمون . ولكن كل هذا من أجل شذو افكارهم- اسلحتهم- الموحدة وليس من اجل تغذية وتقوية مواقف اعداء وحدة امتهم .

ان ابا ذر، الشيخ الضعيف، يستطيع، وتأكد من هذا ، ان يثبت لك خطأ كل كلمة قلتها في مقالك. اقول كل كلمة لأن الخيط الفكري الذي جمعها خاطيء. خاطيء علمياً . ولكنه لا يفعل. على الاقل الى ان يلتقي بك ويحاورك محاوره المودة لا جدل الخصومة . لماذا ؟ لانه يعلم علم اليقين انك قد وضعت كل جهدك الفكري ، كل عواطفك الجياشة، كل كفاءتك العلمية في خدمة القضية المشتركة: الوحدة العربية . وهكذا ترى يا استاذنا، او يرجو ابوذر ان ترى ، انه كما لن يستفيد من الكشف العلني لخطأ مقولاتك الا اعداء الوحدة فان اصرارك المستمر على التشهير بالفكر الوجودي ، جملة ، لن يخدم الا اعداء الوحدة

...
كتاب كامل تدين به الفكر الوجودي الذي ساهمت فيه اجيال من الاساتذة والمناضلين ثم " تكتفي ". ومقال كامل تعيد به " حيثيات ، الادانة ثم " تكتفي " .. وبعد؟.. وبعد يا دكتور.. اخطأت الاجيال. سلمنا لك "

بالنبوة الفكرية " .. فهات تعاليمك؟.. بلغ رسالتك؟ قل للجيل العربي الجديد .. افعل كذا ولا تفعل كذا وسيستمع اليك لانك نبي واستاذ..

في مقدمة كتابه الذي سنتحدث عنه بعد قليل قال الدكتور البيطار ان دور السياسيين في الحركة العربية قد زال ودخلت دور الانبياء...!!

ان كان الجيل الجديد من الشباب العربي لا يعرف ذلك فاسمح لابي ذر ان يقدمك اليهم حتى تتأكد انت، ويتأكدوا هم، انك جدير بان تجيب على السؤال الذي طرحته منذ ١٩٦٤ ولم تجب عليه بعد: ما العمل؟..

ذكريات حلوة ومرة :

ايها القراء من الجيل العربي الجديد..

لم تشهد الامة العربية في تاريخها اروع من السنوات الخالدات ١٩٥٨ - ١٩٦١ . سنوات الجمهورية العربية المتحدة التي جمعت سوريا ومصر في دولة واحدة تحت قيادة جمال عبد الناصر . انها الفترة التي كتب عنها الوزير الفرنسي بنواميشان كتابه العظيم " ربيع العرب " معبرا عن دخول الامة العربية مرحلة ازدهارها . كان كل شيء يبدو رائعا . قيادة عملاقة تحتل المكان الاول بين الزعامات العالمية . تلتف حولها وتأمّر بأمرها وتتبع خطاها عشرات الملايين في كل مكان من الوطن العربي . انحسار لقوى الاستعمار وهزائم متكررة في كل صدام . انكماش ورعب قاتل لدولة الصهاينة . حركة بناء بالغة الجدية في دولة الوحدة . احترام وتقدير كاملان لكل ما هو عربي ومن هو عربي في أي مكان من الدنيا . الثورة في العراق تنتصر . الثورة في الجزائر منتصرة . بذور الثورة في اليمن تنمو . الاسطول السادس ينزل قواته على شواطئ لبنان .. فينبرى للدفاع عن شواطئ لبنان جيش لبنان فلا يتقدم البحارة الامريكيون إلى ان يعودوا الى سفنهم (تصوروا !) ..

كان كل شيء يبدو رائعا .. كان كل شيء يبشر بدولة العرب الواحدة ، وبعصر جديد للانسان العربي . وتم كل شيء رائع باسم القومية العربية وبواسطة جماهيرنا العربية وبقيادة القوميين وتحت شعارات القومية، الى درجة أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر نفسه قال في تلك الفترة - بعيد تحقيق الوحدة- " ان القومية العربية هي التي خلقتني . لست انا الذي اثريها بل هي التي تحملني . انها قوة هائلة ولست الا اداتها المنفذة . ولو لم اكن موجودا لاوجدت غيري ، واحد، عشرة، الفا يطلون محلي . ان القومية العربية لا يمثلها رجل واحد او جماعة من الرجال انها لا تتوقف على جمال عبد الناصر او على اولئك الذين يعملون معه . انها كامنة في ملايين العرب الذين يحمل كل منهم مشعل القومية . انها تيار لا يمكن مقاومته ، ولا تستطيع أية قوة في العالم تدميره طالما احتفظ بثقته في نفسه " .

من هذا المنطلق كان يقود جمال عبد الناصر جماهير امته . وبهذا المنطق كان يخاطبها . فاجتمع المنطلق والمنطق الصحيح والقائد الفذ والجماهير المناضلة في حركة عارمة حققت للامة العربية اروع سنوات تاريخها الحديث ١٩٥٨ - ١٩٦١ .

و فجأة، استطاعت قلة رجعية عميلة متأمرة ان تضرب دولة الوحدة وتفصل اقليمها الشمالي " سورية " و شلت المفاجأة المذهلة الجماهير العريضة وكل القوى القومية والوحدوية . وعندما حاولت الجماهير في دمشق واللاذقية و حلب ان تدافع عن دولتها، انتصارها، املها، سحقته . سحقته القلة الرجعية العميلة المتأمرة .. وبدأ الانحسار . انحسار المد القومي .. ومع الانحسار الهزائم . ومنها هزيمة ١٩٦٧ التي ثبت فيما بعد مما نشر من وثائق ان الانفصال كان جزءا من خطتها التي اعدت في الاصل بعد الوحدة مباشرة .. اعدتها الولايات المتحدة الامريكية لينفذها عملاؤها من العرب وادواتها من الصهاينة .

لقد ظل القائد الى اخر يوم في حياته يعاني فكريا وجسمانيا من جرح الانفصال . ولكنه لم يكن وحده الذي عانى وتعذب. جيل كامل من الشباب العربي (حينئذ).. ينتمي ابو ذر اليه، ايضا الدكتور نديم البيطار، تعذب وما يزال منذ الانفصال.. لانه- ذلك الجيل- يرى في كل يوم- حتى اليوم- من آثار الانفصال ما ينكأ جروحه ويجدد صديدها.. وكان لا بد- بالرغم من الالام والعذاب- ان يطرح على الشعب العربي كله سؤال : لماذا حدث هذا؟! .. اعني لماذا حدث الانفصال سهلا ولم يعلق العملاء الخونة الانفصاليون على اعواد المشانق؟..

ويا للاجابات، الحاقدة، الشامتة، الهدامة..

انتهاز كل اعداء الامة العربية وقوميتها ووحدها مهزلة هزيمة جماهيرها العريضة امام القلة المتآمرة، ليقولوا بكل لغة، بكل صيغة، ويبرروا بكل فلسفة، بكل منطق، ويثبتوا بكل دليل بكل قرينة.. ان الخطأ كان في الوحدة ذاتها.. فلا تعودوا اليها ابدا. لم يدينوا الرجعية العربية العميلة المتآمرة ... لم يدينوا الولايات المتحدة الاميركية التي خططت للمؤامرة . لم يدينوا الصهيونية التي كانت حلقة الوصل بين العملاء وسادتهم . لم يدينوا واحدا، لم يدينوا جماعة.. كل هؤلاء كانوا ابرياء. اما المجرم والجريمة معا فكانت الوحدة العربية .. كان الامر شبيها بما حدث اثر هزيمة ١٩٦٧، حيث ادين كل عربي ، فكرة او ممارسة او عملا.. ولم يدين احد المجرمين المعتدين .. الا الجماهير العربية وطلائعها من القوميين التقدميين .

في سنة ١٩٦١، بعد الانفصال، وفي مواجهة تكثف بشع من كل اعداء الامة العربية، كان على القوميين التقدميين ان يبحثوا عن الاجابة الصحيحة على السؤال الاساسي : لماذا حدث الانفصال؟.. اعني لماذا حدث سهلا وانهزمت الجماهير امام قلة متآمرة؟..

باختصار، انتهت التساؤلات ومرحلة التعذيب الذاتي الى ان الخطأ الاساسي هو : ان الجماهير الوحودية مهما بلغ عددها، ولو بلغ الملايين، لا تستطيع ان تنتصر و لو ضد قلة منظمة ، الا اذا كانت هي- أي الجماهير- منظمة وان الانفصال قد تم سهلا، وانتصرت فيه القلة المتآمرة ، لان الجماهير الوحودية لم تكن ملتحمة في تنظيم . كانت القاعدة الجماهيرية تضم الملايين . وكانت كلها تحت قيادة عبد الناصر بدون منازع او شريك . وحققت بتلك الصيغة الناقصة ، انتصاراتها، ولكنها في لحظة خاطفة لم تستطع ان تقاوم قلة منظمة، لان التنظيم ، تلك العلاقة التي تربط القائد بجنوده، وتحدد لكل فصيل ساحة، ولكل ساحة عملا ، ولكل عمل وقتا، وتتابع النشاط في مواقعه، وتبقى على قنوات الاتصال بين القواعد والقيادة بحيث تستطيع القيادة ، في اي يوم ، في اية ساعة ان تحدد بدء المعارك وقواها و مداها واهدافها في أي مكان .. ذلك التنظيم كان مفقودا.. فتحولت حركة مقاومة الانفصال في سورية الى ردود افعال جماهيرية عفوية غاضبة معزولة بعضها عن بعض .. فسحقت الى حين .

الجماهير المنظمة هو الحل؟..

سبحان الله العظيم . انها بدهية عرفتها الانسانية منذ ان كان الناس يخرجون للصيد جماعة فكيف غابت حتى ضاعت وحدة ١٩٥٨؟.. واحتوى الضياع نخبة من جيل كامل من المناضلين الثوريين فمنهم من انحرف ومنهم من ارتد ومنهم من اهترأ.. ولم يصمد الا القليل . وكعادته في تحمل المسؤوليات كان عبد الناصر هو من اعلن ان الخطأ الاساسي كان عدم تنظيم الجماهير . فلم تستطع الجماهير في اللحظة الحاسمة ان تدافع وتنتصر حفاظا على دولتها . ولكن المشكلة الملحة في ذلك الوقت كانت رد الثقة الى الجماهير القومية الوحودية وشن هجوم مضاد ضد اعداء الامة العربية وهزيمتها. من هنا خاض الشعب العربي في مصر بقيادة جمال عبد الناصر اكبر حروب التاريخ ثورية وتقدمية وشرفا : حرب اليمن . لم

يهناً اعداء الامة العربية طويلا بنصرهم الغادر في شوارع دمشق بل انطلق جنود القومية العربية يحاصرون الرجعية المتأمرة فوق قمم جبال اليمن ويشنون حرب تحرير منتصرة في جنوب الجزيرة العربية ويلجئون الرجعية العربية الى تأجير المرتزقة لتحمي مواقعها . وباسم القومية والوحدة يسقط حكم الانفصاليين في سورية. وباسم القومية والوحدة يصل البعثيون الى الحكم في العراق .. وتطرح قضية الوحدة الثلاثية (مصر - سورية- العراق) ..

ويصر عبد الناصر على ان الاولوية في شأن الوحدة ليست للوحدة الدستورية بل لوحدة القيادة السياسية . وان وحدة القيادة السياسية تعني وحدة الجماهير المنظمة، وان هذا بدوره يقتضي اولا الوحدة الفكرية.. وتشهد القاهرة خلال شهر ابريل ١٩٦٣ مؤتمرا فكريا حقا ، اسهمت فيه قيادات كل القوى المنتسبة في ذلك الوقت الى الخط القومي التقدمي . ولم تترك مقولة فكرية مما ينضوي تحت شعار الحرية والاشتراكية والوحدة الا ونوقشت ودار حولها حوار حار .. وانتهى الأمر - يا ايها الجيل الجديد من الشباب العربي- الى اتفاق الاطراف جميعا على (١) وثيقة فكرية (٢) نظام لوحدة القيادة السياسية (٣) دستور للوحدة الثلاثية.. ثم ، انفجر الموقف كله بين الفرقاء ولم تتم الوحدة.. وعاد اعداء الامة العربية وقوميتها ووحدها يرددون ان الخطأ الاساسي هو الوحدة . الم نقل لكم لا تعودوا اليها ؟

وعاد السؤال الملح : لماذا فشلت الوحدة ؟.. اتفاق جماعي على مقولات فكرية، واتفاق جماعي على دستور واتفاق جماعي على قيادة موحدة .. فلماذا فشلت الوحدة ؟.. ولم يصمد الا القليل!! وكعادته ايضا كان جمال عبد الناصر اول من اعلن عن الخطأ . فأعلن أن الحركة الواحدة اصبحت ضرورة تاريخية، وانه لن ينشأها وان انشاءها مسئولية الثوريين العرب.. كيف كانت دعوة عبد الناصر الى الحركة العربية الواحدة متضمنة اعلاننا عن الخطأ في تجربة الوحدة الفاشلة سنة ١٩٦٣؟.. لان صيغة التنظيم الجماهيري التي اتفق عليها في ربيع ١٩٦٣ كانت صيغة " الجبهة ، جبهة ثلاثية الاطراف . بعث العراق وبعث سورية وقيادة ثورة ٢٣ يوليو . والجبهة مرحلية ومؤقتة توحد القوى ولكن لا تلغي الصراع بين اطرافها .. وعندما قال عبد الناصر ان البعث بطرفيه العراقي والسوري يستهدفان وضع قيادة ثورة ٢٣ يوليو بين المطرقة والسندان لم يكن يتهمها بل كان يعبر عن واحد من اعنى قوانين العمل الجبهوي ، حيث لا يكف أي طرف فيها ، ولا يمكن ان يكف ، عن تصفية الاطراف الاخرى من خلال الالتحام بهم في العمل الجبهوي المشترك . وبعد حين سيحضر الى القاهرة احد اقطاب الجبهة الفاشلة ويطلب من جمال عبد الناصر ان يسمح له بان يسجل بصوته- للتاريخ كما قال- حقائق الصراع المدبر الذي كان يدور في ذات اللحظات توقيع اتفاقيات الوحدة الثلاثية.. وسجله في مقابل وعد بالا ينشر الا بعد مضي المدة اللازمة لنشر الوثائق التاريخية .

انحصر الحل الصحيح اذن في الحركة العربية الواحدة . اصبح مصير الحركة القومية التقدمية متوقفا على قيام الحركة العربية الواحدة . اصبحت المساهمة في قيام الحركة العربية الواحدة هي المحك الصحيح لموقف كل منتسب الى الحركة القومية التقدمية والدليل المقبول على صدق الولاء للامة العربية وجماهيرها.. وكان كل هذا خلاصة ركاب من الانتصارات والهزائم من التجارب الصحيحة والتجارب الخاطئة.

فانبرت قلة من المثقفين العرب القوميون الودويين التقدميين، لارساء حجر الاساس الاول في بناء التنظيم الذي سيضم طلائع امتهم ويقود جماهيرها ولا يسمح مرة اخرى بأن تنهزم تلك الجماهير امام الاقليات الرجعية المتأمرة من اعداء الامة العربية ووحدها . حجر الاساس في بناء أي تنظيم هو الوحدة الفكرية. وحدة النظرية التي تلتقي عليها الجماهير وتلتزم بها وتحتكم اليها ، فتضبط خطاها في مواقعها ولا تسمح للمعارك التكتيكية بأن تكون على حساب الهدف الاستراتيجي..

بكل المقدرة العلمية، وبكل الثقافة الواسعة، وبكل الصدق في الانتماء القومي، وبكل الجدية في الاخلاص لهدف الوحدة ، وبكل الحماس لقيام الحركة العربية الواحدة اسهم الدكتور نديم البيطار في الوفاء بمسئولية القوميين التقدميين عن تحقيق الوحدة الفكرية ، بكتابه الموسوعي " الايديولوجية الانقلابية " .. لان الدكتور نديم البيطار كان من تلك القلة التي لم تضع، ولم تنحرف ، ولم تياس ، و لم تهترى .. تحت وطأة هزيمة الانفصال سنة ١٩٦١ او فشل الوحدة سنة ١٩٦٣ ..

من اجل هذا الدور العظيم في ظروفه ، الذي وقفه الدكتور نديم البيطار من ازمة امته، فلم يبخل عليها بذرة من كنوزه الفكرية.. ولم يزل ، لا يستطيع اي قومي تقدمي خاصة اذا كان من امثال اباذر الذي عاش تلك الفترة ان يلتفت عن اعداء الفكر الوجدوي ليكشف الاخطاء التي وقع فيها واحد من اساتذة المفكرين الوجدويين ، ومن اجل هذا كان يتمنى ابوذر لو ان الدكتور نديم البيطار قد " اكتفى " بكل ما قاله من قبل ، ادانة للفكر الوجدوي ، وقال للجيل الجديد من الشباب العربي: كيف تتحقق الوحدة؟..

الموسوعة البيطارية؟

والان ، ايها الشباب، بعد ان عرفتم نبذة عن الدور النضالي للدكتور نديم البيطار، اليكم التعريف بكتابه " الايديولوجية الانقلابية " ..

صدر كتاب " الايديولوجية الانقلابية " عام ١٩٦٤ . وقد صاحبه سوء الحظ منذ نشره . فلم يقرأ كما يجب ان يقرأ ولم يصل الى من هم في حاجة اليه واعني الشباب . حجبتة عن الشباب عوامل لا تمس مضمونه الغني . اولها فيما اعتقد - واهونها- عنوانه . ان اسم " الايديولوجية الانقلابية " اسم مخيف لمن لم يعتد مواجهة تلك الكلمات الكبيرة المركبة و " الانقلابية " بالذات توحى باسلوب مرفوض ومدان لانها توحى باستيلاء جزء من السلطة على كل السلطة بدون تغيير اقتصادي او اجتماعي . وفي الادب السياسي ، الدارج، يوضع " الانقلاب " موضع المقابلة من " الثورة " . الثورة مقبولة والانقلاب مرفوض ولقد حرضت، بنفسي ، اكثر من واحد على قراءة كتاب " الايديولوجية الانقلابية " بعد ان تبينت انه قد رفض ان يقرأه للمعاني المرفوضة التي يوحى بها عنوانه. حرضت على قراءته ، وما زلت احرص ، لان مفهوم " الانقلابية " كما يطرحه الدكتور نديم البيطار ابعد ما يكون عما توحى به كلمة " الانقلاب " . انه يعني به شيئا اخر اكبر حتى من الثورة . اعني اعم من الثورة واشمل وابعدها اثرا في تاريخ الشعوب .

لم يكن العنوان هو كل ما حجب الكتاب عن القراءة . ما حجبه ايضا حجمه . انه يكاد يكون مكعبا . يتكون من ١٠٣٠ صفحة على ورق سميك . ان الشباب عادة لا يقبلون على تلك الاحجام التي تحتاج الى مران طويل على الصبر في القراءة . شيء اخر . ثمنه . في عام ١٩٦٤ كان ثمنه ١٥ ليرة لبنانية. تساوي الان على قدر ما اعلم من خبرتي القليلة بالنقود واسعار صرفها عشرة اضعافها . فمن الذي يشتري اذا كان مستعدا للحمل . ومن الذي يحمل اذا كان مستعدا للصبر على قراءة ١٠٣٠ صفحة تحت عنوان " الايديولوجية الانقلابية"؟؟ المحترفون فقط من امثالي . مظلوم الكتاب اذن لانه لم يصل الى ايدي وعقول الشباب . ومظلوم الشباب ايضا لأنه لم يقرأ كتابا موسوعيا..

انه موسوعة بكل معنى الكلمة. ولقد اتمنى لكل شاب عربي ان يحصل عليه ويحتفظ به ويعود اليه من حين الى حين فسيجد فيه الوانا من المعرفة لا حصر لها لم تجتمع ابدأ في كتاب واحد لمؤلف واحد على قدر ما يعرف ابو ذر من كتب ومؤلفين ..

ان الدكتور نديم البيطار ينتهج فيما يكتب المنهج التاريخي . فهو مقتنع اقتناعا تاما - كما قال في كتابه - بوجود سنن ايديولوجية انقلابية مشتركة ومتكررة في المراحل الانتقالية الثورية الكبرى. انها ذات

الفكرة التي عبر عنها في مقالة عن " أزمة الفكر الوجودي " عندما قال " عمليات الدمج والتوحيد السياسي عبر التاريخ تنطوي على تعدد لا يمكن حصره ، والمنهج التاريخي المقارن هو الاداة التي يمكن بها صياغة هذا التعدد في درجة عليا من الوضوح والجلال . لأنه يوفر لنا القدرة على تعيين العام الذي يسودها " وفي كتابه - الموسوعة " الايديولوجية الانقلابية " ... " يكتفي " المؤلف بالدراسة المقارنة للايديولوجيات الغربية الانقلابية من المسيحية الى النازية، فقط !! ويعتذر فيقول : " ان المجال لا يتسع مع الاسف لجميع التجارب التاريخية الايديولوجية الانقلابية " ... وللشباب ان يتصور كتابا صاحبه ذو معرفة خيالية يناقش كل الافكار والفلسفات والمبادئ والمذاهب والحركات السياسية والوقائع التاريخية على مدى تسعة عشر قرناً .. وهو لا يناقشها من حيث هي احداث فكرية او ممارسات بدون رجال . انه يناقش انبياءها ، وعلماءها ومفكريها، وادباءها ، وساستها، وفنانينها، وفي مرحلة وسطى من الكتاب يدخل الاسلام في المقارنة ايضا ، الى درجة ان اسماء الاعلام الذين نقل عنهم الدكتور نديم البيطار وناقشهم واستشهد بهم بلغ ٦٢٥ مفكرا وفيلسوفاً وعالماً واديباً وقائداً وسياسياً ونبياً ايضاً.. وهو " يكتفي " بهذا القدر ويعتذر في نهاية الكتاب بقوله : " كان علينا ان نسهب بعض الشيء في قسم الحواشي والمراجع غير اننا قد رأينا ان الكتاب امسى من الضخامة بمكان كبير وان ما كنا وطدنا العزم على اضافته (خذوا بالكلم) من الحواشي والمراجع!! يبلغ ما يزيد عن الثلاثمائة صفحة) اضطررنا الى الاستغناء عنه مكرهين، واكتفينا بنشر فهرس اسماء . " من فهرس الاسماء عرف ابو ذر عدد الذين حاورهم الدكتور نديم البيطار. وهل كنتم تنتظرون ان اعددها بنفسى .. ليس في العمر بقية كافية ..

المثير للاعجاب حقاً، ان ليس في كل هذا ان يقال انه حشو لا لزوم له ، او كلام فارغ، او استعراض للمعلومات ابدا انه الموضوع الذي اختاره ، اراد ان يوفيه حقه من " البحث " او بعض حقه، ف جاء الكتاب موسوعة معرفة حقاً . وعندما يتصور الانسان كم بذل الدكتور البيطار من الجهود وسهر الليالي لمجرد ان يسهم بفكره في تجاوز امته العربية مرحلة ازمتها (١٩٦١ - ١٩٦٣) بدون باعث الا رغبته في ان يضع بين ايدي شباب الامة العربية ما " قد " يحقق الوحدة الفكرية اللازمة لبناء الحركة العربية الواحدة .. لا يملك الا ان يدخر له تقديراً عظيماً يستحقه وان يأسف لأن الشباب العربي قد حرم من موسوعته البيطارية...

ماذا قال في تلك الموسوعة؟ اعني ما الذي اراد ان يقوله؟.. انه بسيط وقليل . اما الجانب الموسوعي في الكتاب فلم يكن الا تدليلاً تاريخياً على صحة هذا البسيط القليل . نعرض هنا ذلك البسيط القليل الذي اراد الدكتور البيطار ان يقوله في موسوعته :

اولاً: ان دراسة التاريخ المقارن تكشف عن انه يتكون من مراحل انقلابية متتابعة وان لكل مرحلة ايديولوجية انقلابية خاصة بها ، وان الدراسة المقارنة لتلك الايديولوجيات الانقلابية تكشف عن توفر سنن مشتركة فيما بينها مترددة في كل منها ، نستطيع منها أن نعرف خصائص الايديولوجية الانقلابية (من صفحة ٣٣ حتى صفحة ٧٩) .

ثانياً: ان كل الايديولوجية الانقلابية لا تنشأ فجأة بل على أثر تطورات فكرية فلسفية عديدة تتقدمها وتمهد لها (من صفحة ٨١ حتى صفحة ١١٨)

ثالثاً : ان كل ايديولوجية انقلابية تؤكد تأكيداً اساسياً على دور الافكار في توجيه التاريخ سواء كان مضمونها مادياً او مثالياً ، وبناء عليه فإن كل ايديولوجية انقلابية هي بالضرورة مثالية لأنها تبشر بقيام مجتمع جديد على صعيد انساني عال كمفهوم في الحياة . في هذا الجزء يعرض الدكتور افكاراً رائعة للكشف عن مثالية الايديولوجيات المادية مثل الماركسية والنازية . (من ص ١٠٩ الى صفحة ١٥٨) .

رابعاً: ان كل ايديولوجية انقلابية هي صيغة شاملة لمرحلتها التاريخية (من صفحة ١٦١ الى صفحة ١٨٧).

خامساً: ان كل ايديولوجية انقلابية " مطلق " اذ غايتها ان توحد بين الفرد والمجتمع يعني انها تعرض ذاتها وتمارس دورها باعتبارها الصواب المطلق الذي لا خطأ فيه . يقول : اما الحرية الفكرية او السياسية التي تزعمها بعض تلك الحركات الانقلابية فهي مغالطة كبرى ، فليس من حركة انقلابية تستطيع مهما صحت غايتها في الحرية ان تسمح ، على الاقل في طور تبلورها او تحققها الاولى ، بتلك الحرية، لان هذا الطور ينشأ من ايديولوجية ، تفرض عليها طبيعتها الانقلابية الامتداد الى المجتمع ككل " (من صفحة ١٨٩ الى صفحة ٢٠٦) واثبات هذه الفكرة (من صفحة ٢٠٧ الى صفحة ٢٢٨)

سادساً : " قاعدة الانطلاق في الايديولوجية الانقلابية هي الاعتقاد بان المجتمع قد وصل الى نقطة، في مجراه التاريخي الخاص، ضاقت عندها آفاقه، وانكشفت امكاناته، واصبح من المستحيل متابعته، وان حياته وفعاليته تفرضان تجاوزه وتجديده على صعيد تاريخي جديد.. " (الشرح والتدليل من صفحة ٢٢٩ الى صفحة ٢٥٨) وبه تم الجزء الاول من الكتاب وعنوانه " الايديولوجية الانقلابية في التعبير عن ابعاده السياسية " لبدأ " الجزء الثاني من الكتاب وعنوانه " صورة الايديولوجية الانقلابية العامة .. وفيه يقول :

سابعاً : " ان كل ايديولوجية انقلابية ذات وجهين يسميهما " ثنائية التجاوز الانقلابي " يعني بهما مرحلة تاريخية قديمة سعيدة تستوحىها.. ومرحلة تاريخية مقبلة تدعو اليها اما ما بينهما فتلغيه. بتعبير آخر تقف كل ايديولوجية انقلابية من التاريخ ثلاثة مواقف : موقفاً من التراث تستوحىه وموقفاً من التاريخ القريب (الواقع) تلغيه وموقفاً من المستقبل تبنيه(من صفحة ٢٦١ الى ص ٢٨١)

ثامناً : تشترك كل الايديولوجيات الانقلابية في رفضها (انقلابها على) صورة مجتمع، و " شوقها " الى مجتمع انقلابي جديد . ويقول : " لا تلتقي الايديولوجيات فقط في الشوق او الميل فقط ، بل ان المجتمع الانقلابي الذي تهفو اليه هو مجتمع متماثل متشابه بينها . فهي تحن، بالرغم من جميع الاختلافات والفروق ، الى صورة انقلابية واحدة خصائصها الاولى والرئيسية ، حنينها واحد ومجتمعها واحد .. " و " نحن نجد في كل ايديولوجية انقلابية دعوة الى دخول الفرد في وحدة مقدسة مع الاخرين . فقد تؤكد على فردية او طبقية تفصل بين فرد وآخر، بين جماعة واخرى ، ولكن غايتها الاولى هي انشاء تلك الوحدة " . (من صفحة ٢٨٣ الى صفحة ٣١٤) . هذه الفكرة جديرة بالتأمل خاصة عندما يطبقها المؤلف على كل من المسيحية والنازية .

تاسعاً: تنشأ كل ايديولوجية انقلابية من واقع اجتماعي ترفضه وتنقضه بالتالي لا تستمد منه مبرراتها فتلجأ الى تبني فكرة القانون العام الذي يوحى بوجود نظام عام يسود حركة التاريخ بشكل مستقل عن ارادة الناس وانها- في مرحلتها- تمثله (من صفحة ٣١٥ الى صفحة ٣٤١)

عاشراً: لكل ايديولوجية رموزها وشعاراتها وطقوسها. اذ لما كانت الايديولوجية الانقلابية تعني "صورة انسانية جديدة تحاول ان تفرض ذاتها على الواقع، وعملاً سياسياً ثورياً يحول الواقع تبعاً لها، مما يؤدي الى جعل تركيبها الايديولوجي يخسر الكثير من العقلانية ، لانها تجد نفسها مضطرة الى اعتماد عناصر اسطورية وعاطفية تقدمها على الفكر والعقل وتحاول ان تخلق فيها الاوضاع التي تبررها، لهذا، تتحول الايديولوجية الى شعارات وطقوس تردد فرضياتها بشكل عاطفي وبصورة مطلقة " .. ذلك لان " قابلية الادراك في الجماهير محدودة جداً، والانفتاح الفكري فيها معدوم، وهي تتميز بميل الى النسيان شديد . وكلها صفات تفرض على كل ايديولوجية انقلابية ان تنظم ذاتها في كمية من النقاط الاساسية تحملها الى الجماهير بشكل شعارات مبسطة " .. ولهذا "تحتاج الايديولوجية الانقلابية دائماً الى نخبة انقلابية تتمثل

على الاخص في حزب انقلابي، تكون على بينة من التاريخ، من تجاربه الى سننه " .. و " ان علمية او لا علمية ، واقعية او اسطورية المذاهب والعقائد لا اهمية لها ابدا " .. " ان الايديولوجية الانقلابية التي تريد ان تنشئ العالم على صورتها تحتج الى الايمان الاعمى " الشرح والايضاح من صفحة ٣٤٣ الى صفحة ٣٨٥)

حادي عشر: ان الحرية في كل ايديولوجية انقلابية تعني التحرر من المجتمع القائم لحساب قانونها العام (من صفحة ٣٨٧ الى صفحة ٤٢٦) في هذا الجزء تطبيق ذكي لهذه المقولة على الماركسية خاصة ابتداء من صفحة ٣٩٤ وينتهي الجزء الثاني ليبدأ الجزء الثالث بعنوان " المضمون الميتافيزيقي في الايديولوجية الانقلابية " .

ثاني عشر : كل ايديولوجية انقلابية هي في الاصل ميتافيزيقية لانها تنطلق من حقيقة ثابتة ترجع اليها مظاهر الاجتماع والتاريخ والسلوك . هذه الحقيقة لا تجد ما يبررها في التحليل التجريبي (من صفحة ٤٢٩ الى صفحة ٤٥٠)

ثالث عشر: اروع واعمق افكار الكتاب : ان كل تمرد ضد الميتافيزيقا هو موقف ميتافيزيقي . هنا يصول و يجول المؤلف ويستعرض مقدرته الفلسفية " الجدلية " (من صفحة ٤٥١ الى صفحة ٥٠٦)

رابع عشر : تطبيق ما تقدم على الايديولوجيات الانقلابية : " تتحدى الايديولوجية الانقلابية في فرضياتها الاساسية كل تحليل وكل تفسير علمي ، وتبقى فرضيات بديهية قبلية طالما كان باستطاعة الايديولوجية ان تولد ذاتها في النفوس الحماسة والولاء الوجداني العميق .. " التطبيق على الليبرالية بشكل خاص (صفحة ٥٠٧ الى ٥٤٦) وينتهي الجزء الثالث ليبدأ " الجزء الرابع بعنوان "المضمون الكلي في الايديولوجية الانقلابية " فيقول :

خامس عشر: كل ايديولوجية انقلابية هي كلية المضمون تمتد الى كل مناحي الحياة (راجع من قبل تاسعا) والتطبيق موضوعي ومطول وخصيب على المسيحية خاصة بالاضافة الى المذاهب الاخرى (من صفحة ٥٤٩ الى صفحة ٦٧٦)

سادس عشر : يترتب على كون كل ايديولوجية انقلابية مطلقة وكلية ان تلجأ الى العنف في نقض المجتمع القديم وبناء مجتمعها . اذ " تنشأ كل ايديولوجية انقلابية باسم العدالة تنكر مظالم وعنف العهد التقليدي ولكنها لا تلبث ان تتعصب لذاتها، وعندئذ تشيد مقاصل وسجوناً جديدة تحل محل تلك التي هدمتها وترغم الناس على تأدية العبادة المطلقة لها " و " لا تستطيع الحركة الانقلابية الحياة دون حقد تركزه على بعض الاعداء ، والحقد يولد الكراهية والعنف، يستحيل اذن ظهور حركة انقلابية بدون عنف " (من صفحة ٦٧٧ الى صفحة ٧٢٠) وينتهي بهذا الجزء الرابع ليبدأ الجزء الخامس بعنوان " المضمون الديني في الايديولوجية الانقلابية " . ويقول :

سابع عشر : " ان ما تطلبه الاديان من الفرد هو الاستسلام التام ، الطاعة والتكريس الذاتي لها . لكي لا يجد الفرد نفسه يجب أن يخسرها . أخذت الايديولوجيات الانقلابية الحديثة مكان الدين في هذه الفروض " . من هنا فان الايديولوجيات الانقلابية ، حتى لو كانت ملحدة ، تلتقي مع الدين "في طبيعتها وفي المقاصد والاهداف التي تبغيها ، وفي التجربة السيكلوجية الاخلاقية التي تولدها، فالتبيعة واحدة والمقاصد متماثلة من حيث الشكل وان اختلفت من ناحية المضمون، والتجربة السيكلوجية واحدة وان اختلفت في المصدر " .. هذا تلخيص للصفحات من ٧٢٣ الى ٨٠٨ تلخيص ذري . نسبة الى الذرة وليس نسبة الى ابي ذر . والذرة بالرغم من ضآلتها تحمل سر الوجود كله .

ثامن عشر: كل ايديولوجيا انقلابية هي ضابط اخلاق مرحلتها . اذ " تعني الايديولوجيا احكاماً وقوانين تتبع من نظام ايديولوجي يكشف عن نظام طبيعي ، يقبله المؤمنون ويريدونه . فهو يمثل النظام الاخلاقي ذاته فيتحقق الفرد اخلاقياً بالسلوك تبعاً لهذا القانون وبموجبه (من صفحة ٨٠٩ الى صفحة ٨٢٧) ويبدأ الجزء السادس من الكتاب بعنوان " المضمون الثوري في الايديولوجيا الانقلابية " فيقول:

تاسع عشر : بعد مقارنة طويلة وطريفة ، بين خصائص الانسان وخصائص الحيوان تكون "الانقلابية" اي المقدره على تجاوز الواقع هي المميز للانسان . ويمثل " الدور الاقتصادي المادي الحديث جميع ما هناك من شر يصيب انسانية الانسان ، فكان على سيادته ان تنتهي ان كنا نبغي الحياة والاستمرار والنمو لتلك الانسانية " .. فالانسان الان في طور انقلابي جديد يتجاوز به الانقلاب البورجوازي الذي حول الانسان الى كائن اقتصادي (من صفحة ٨٣١ حتى صفحة ٨٩٦) ٠٠ المادة فيما بعد هذا تضعف وتتكرر الى ان نصل الى صفحة ٩٨٥ حيث العنوان هو: " خاتمة حدود الانقلاب العربي " . فيقول :

عشرون : ان الحركة العربية القومية الثورية لم توفق بعد الى ايديولوجية انقلابية، ولم تدخل الطور الايديولوجي الانقلابي المتكامل الصحيح " .. فهي تحتاج الى ايديولوجية انقلابية تدعمها فلسفة اجتماعية كي تجد شخصيتها، ويكتفي ... الدكتور البيطار بهذا..

وبعد ؟.. ما العمل؟.. لايجيب. ولكن يترك لنا كتابا موسوعيا يصلح مرجعاً لكل الشباب من الجيل الجديد . انه الاسلوب ذاته الذي كتب به مقاله عن " أزمة الفكر الوجودي " .

على اي حال فقد كانت فرصة طيبة ليعرف الجيل الجديد من الشباب العربي شيئاً عن الكتاب الموسوعة " الايديولوجية الانقلابية " .. نقلها ابو زر عن ملخصاته للكتاب حين ظهوره .. وهل استطيع ان اقرأه مرة ثالثة؟. ثم لماذا؟.. اني ابحت عن اجابة على الاسئلة لا تأكيد موسوعي على انني في حاجة الى جواب..

الجواب من عند الشباب..

انظروا ماذا قالوا في العدد الثاني (السنة الثانية) من الشورى..

حوار الافكار الشبابية:

ان محمد عبد الحكم يضع مشكلة المستقبل العربي كله في صيغة محكمة في مقاله الجيد "الناصرية بين النظرية والتطبيق" يقول قبل ان يلخص تلخيصاً وافيا تطور الفكر الناصري .

" ان المعضلة الكبرى امام اي ناصري- الان- هي عدم قيام الحركة العربية الواحدة، واستمرار التعدد في التنظيمات والجماعات الناصرية . وان كان لهذا ما يبرره في ظل قيادة عبد الناصر لحركة الثورة العربية فان ذلك يعتبر الآن قيذا على الحركة وعبئاً على النضال الذي هو في أمس الحاجة الى التوحيد من اجل القضية العربية المشتركة. ومن اجل الصمود فيتحقق اهداف النضال العربي في الحرية والاشتراكية والوحدة " . وبعد ان يلخص تطور الفكر الناصري تلخيصاً وافيا يختتم مقاله بقول حاسم حازم حتى لا يميع احد الموقف عن طريق مناقشة تلخيصه فيقول : " وفي مواجهة المستقبل سنجد ان الناصريين امام موقف دقيق لن يخرجهم من هذا الموقف غير ايجاد الوعاء الثوري الذي يحتوي حركتهم ويزيد من فعاليتهم .. هذا الوعاء يوحد الارادة ويخلق الاطار و يبيلور المنهج ، ويثريه وهو ما

يخلق الحركة العربية الواحدة كتنظيم قومي يتجاوز الحدود المصطنعة ويحشد الطاقة العربية من اجل المستقبل ومشاكله " .

ان محمد عبد الحكم يرد هنا على ما كتبه الدكتور البيطار من اول الموسوعة الى اخر المقال ، بقول واحد: اذا كان في الفكر الوجداني فقر فتعالوا الى الصيغة الوحيدة لاثرائه . الحوار المنظم داخل التنظيم الواحد...

ومن اقصى صفحات "الشورى " يقدم الدكتور طيب تيزيني خطة الاثراء في بحث من اجود ما قرأت هذا العام .

عنوان مقاله هو "البحث العلمي واهميته المبدئية في تطور التنظيم السياسي " .

يرسى في اوله قاعدته حتى لا يخلط احد بين البحث العلمي والمنهج فيقول : "الجدير بالذكر ان البحث العلمي لا يمكن ان تقوم له قائمة بمعزل عن الاخذ بمنهج او طريقة علمية دقيقة " . ثم يدين العزلة بين الفكر والممارسة . فيقول عن الفكر بدون ممارسة : " ان التأملية تؤطر المناضل في اطر فكرية موجودة مسبقا فتحيله الى انسان فاقد الشخصية يتحرك على واقعه ورغمما عنه بتلك الاطر دون ان يتطرق الى ذهنه اي شك منهجي خلاق . انها ترفض في آخر تحليل الواقع العملي ، معتقدة بانه مرغم على التأقلم معها وان ادى ذلك الى اجهاض وتذويب معالمه الحية، كما تعتقد (التأملية) بان تلك الاطر الفكرية تصلح لكل زمان ومكان " .

ثم يقول عن الممارسة بدون ضابط فكري :

" ان اصحاب التجريبية يؤكدون بان ممارسة اسلوب الخطأ والصواب بعيدا عن اي تصور فكري يقود الى الحقيقة الخالصة فلنجرب ونخطيء ولنجرب ونخطيء.. هكذا حتى نتشارف على الحقيقة ونقبض على ناصيتها . ان التجريبية تقع في خطأ اساسي هو انها تنكر وحدة التاريخ الفكري والانساني العام . ذلك لان الباحث والانسان عموما لا يبدأ من الصفر وان حاول تجاهل المنجزات الفكرية قبل ان يبدأ هو البحث... " .

هذان موقفان نقيضان . قدم الدكتور طيب تيزيني حلما الجدلي الصحيح الذي يوحد بين الفكر والممارسة في ست نقاط (١) الملاحظة (٢) الاستقراء (٣) التركيب (٤) الفرضية (٥) التحقق (٦) اقتراح حلول . ومنها نرى كيف يتفاعل الفكر والممارسة في حركتهما الجدلية.

فالملاحظة هي ملاحظة واقع وحصيلة الممارسة التي تمت . ملاحظة جزئياته وانواعه وکلياته. ملاحظة حركتها وتحولها وتطورها . الممارسة اذن او حصيلتها الواقعية هي البداية ، ولكن لا من حيث هي بداية تجربة ولكن من حيث هي بداية بحث علمي يكون الواقع موضوع ملاحظته . هذه الملاحظة ليست لمجرد اشباع الفضول ، وهي تتم على اساس استبعاد الصدفة اي بتسليم اولي بمبدأ الخضوع لقانون . هذا التسليم المنهجي هو الذي ينقلنا من الملاحظة الى الاستقراء . الحقيقة ان المرحلة الثانية من البحث العلمي التي هي الاستقراء مرتبطة اشد الارتباط بالمرحلة الاولى أي الملاحظة . هذا الامر يبرز بوضوح من خلال الوظيفة التي ينجزها كل من الاستقراء والملاحظة فكلاهما يبدأ بالعناصر الجزئية من موضوع البحث اما الفروق بينهما فيقوم على ان الملاحظة تبقى في اطار هذه العناصر غير قادرة على ان تتجاوزها . اما الاستقراء فيتحدد بالانتقال من العناصر الجزئية الى نتائج كلية .. ثم تأتي مرحلة التركيب . انها مكملة لعملية الاستقراء . فالنتائج الكلية التي كانت حصيلة ملاحظة لاجزاء الواقع تكون محدودة بتلك الاجزاء التي كانت موضوع الملاحظة . ومهما كانت النتائج كلية فانها تبقى جزئية اذا ما

ظلت واقفة عند حدود ملاحظتها الاولى . لا بد ان من الدفع بالبحث العلمي خطوة اخرى لتكون النتائج الكلية شاملة ما تمت ملاحظته فعلا وما لم تتم ملاحظته. اي اعادة النظر الى الواقع وتركيبه (فهم تركيبه) على ضوء النتائج الكلية. عندئذ تكون لدينا " فرضية " وهي مقولة مرشحة لتكون قانوناً اكتشفناه بدءاً من الملاحظة حتى التركيب . لماذا " فرضية " ؟ لأنه وإن كانت الممارسة قد قدمت لنا الواقع الذي نلاحظه ، فإن الاستقراء والتركيب هما مساهمة الفكر في عملية البحث العلمي . ولو اكتفينا بما ينتهي اليه الفكر ولو عن طريق الملاحظة والاستقراء والتركيب - لعدنا الى " التأملية " . فالتأملية ذاتها ليست تأمل الفراغ ولكن تأمل الواقع . وانما نأخذ الحصيلة الفكرية من الاستقراء والتركيب على انها " فرضية " .. لا بد من ان تصدق . محك صدقها العودة الى الممارسة . أي " التحقق " . ان التعليل المقدم من قبل الفرضية يظل تعليلاً محتملاً حتى يتحول الى حقيقة صادقة بعد اجراء عملية التحقيق . ومن الضروري في هذه النقطة التأكيد على ان تحول الفرضية التخمينية الى نظرية عملية تعيينية صادقة يرتبط اولا واخيرا بالممارسة العملية والعلمية النشيطة " .

يقول الدكتور طيب تيزيني : " هذه الخطوة هي الاخيرة في عملية البحث العلمي " .. ونقول لأن حصيلتها نظرية علمية. بدأت بملاحظته الممارسة، ثم صاغها الفكر، وصدقت صحتها في اختبار الممارسة. من الواقع الى الفكر الى الواقع تلك هي الحركة الجدلية .

ولكن دكتور طيب تيزيني يضيف عنصراً اخر : اقتراح الحلول . لقد اعطى لهذا العنصر فقرتين قصيرتين في اخر مقاله الممتاز . كنت اتمنى لو اطال فافصح اكبر مما فعل . لأنه يقول " ان اقتراح الحلول هو نفسه يكون فرضية علمية وهذه الفرضية تتحول بدورها الى نظرية علمية صادقة حيث تتواجد كل معطيات التحقق منها على النحو الذي اشرنا اليه ان هذه الصيغة قد توحى باهدار النظرية والبدأ من جديد بالملاحظة ثم الاستقراء .. الى آخره في النسق ذاته . في الموضوع ذاته. وهذا يعني العودة الى التجريبية. وما فهمه ابو ذر هو انه بالانتهاء الى "نظرية" اي فرضية صدقت في اختبار الممارسة يتعين علينا ان نلتزمها في نسقها أو موضوعها.. ولكن ، وهذا ما اعتقد ان الدكتور طيب يعنيه ، ان البحث العلمي لا ينقطع في ظل النظرية للبحث عن حلول لمشكلات النمو الاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي والعلمي والقومي والسياسي ، للواقع العربي...

على اي حال ان كل هذا الايضاح من عند ابي ذر لأنه يتمنى لو ان كل شاب عربي من الجيل الجديد قد احتفظ بمقال الدكتور طيب وقرأه واعاد قراءته واتخذ دليلاً في كل موقف تطرح فيه تلك القضايا الشائكة. علاقة البحث العلمي بالمنهج العلمي . وعلاقة الممارسة بالنظرية . علاقة العلم بالسياسة علاقة الجزء بالكل .. الى آخره .

اهم من هذا كله، في خصوصية نقد العدد الثاني (السنة الثانية) من "الشورى" ، ان مقال الدكتور طيب تكملة لمقال محمد عبد الحكم في الرد على مقال الدكتور البيطار . محمد عبد الحكم اكد ان المعضلة الاساسية هي انشاء التنظيم القومي حيث " يبلور المنهج ويثريه " . ومقال الدكتور طيب بيان لكيفية بلورة المنهج واثرائه داخل التنظيم .

نعم، فان مقال الدكتور طيب من اوله الى آخره تأكيد على ان اسلوب البحث العلمي يتم داخل التنظيم وليس تأملاً فردياً من خارجه . يبدأ " بنقد مبدئي وحازم لوجهة النظر التي ترى أن المهمات السياسية والقومية والاجتماعية الكبيرة المطروحة أمام التنظيم السياسي .. الخ " و " .. ان الاهتمام العميق والمبدئي بالمسائل الثقافية والعلمية والعقائدية .. يجد مصادره العميقة في ضرورة اخضاع القضايا الثقافية والعلمية والايديولوجية لمقتضيات الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقومية للتنظيم السياسي أولاً .. الخ " و " ... لا يمكن للتنظيم السياسي الا ان يرفض بنفس الحزم الذي يرفض فيه ظاهرة الثقافة للثقافة الاتجاه العفوي الذي يرى في التثقيف على مشارف الحقيقة التالية وهي ان من

الامور الاكثر جوهرية في النشاط الجماهيري الثوري ان تنصهر شخصية العلم بشخصية المناضل الجماهيري لتنتج شخصية المناضل الثوري . ذلك لان موقفا ثوريا غير منضبط بضوابط نظرية علمية، وقومية، يقود الى مزالق الفوضى والعفوية والارتجال، كما ان موقفا علميا نظريا ذا بعد قومي بعيدا عن النشاط الثوري العلمي يؤدي الى الانعزال عن الجماهير والى خلق قطيعة من الواقع وبالتالي تفوق التنظيم على ذاته ... "

ان ابا ذر لا يكاد يستطيع كف قلمه عن اعادة كل فقرات هذا المقال الممتاز . الاكثر من ممتاز. ولا يكاد يستطيع ان يخفي فرحته بحوار الافكار الشابة...

ويا زميلي في الشيخوخة وجيل المعاناة، يا دكتور نديم هذا هو الفكر الوجودي حقا، لانه يطرح مشكلة الوحدة على حقيقتها ، ويحاول حلها الحل الصحيح .

الوصايا:

في " التوراة " المتداولة وردت وصايا عشر وصى بها الله بني اسرائيل . تبدأ " اني انا الباقي الهكم الذي اخرجكم من مصر منزل عبوديتكم فلا تتخذوا آلهة غيري " ثم تأتي الوصايا المعروفة " اكرم والديك . لا تقتل . لا تسرق . لا تزني " مطلقة بدون تحديد . اما الوصايا الباقية مثل الشهادة الزور مثلا فتأتي مشروطة بالقرابة. لست اشك في ان اضافة القرابة هنا الى باقي الوصايا تستحق دراسة في اصل النص ... اذ ان مفهوم المخالفة ، وهو احد طرق التفسير، قد يؤدي الى اباحتها اذا كان ضحيتها غير قريب ...

جاءت الوصايا العشر في القرآن مطلقة من حدود القرابة اي على مستواها الانساني الشامل حيث هي خطاب للكافة . قال تعالى في سورة " الانعام " :

" قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم (١) الا تشركوا به شيئا (٢) وبالوالدين احسانا (٣) ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم (٤) ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن (٥) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون (٦) ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده (٧) واطفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفسا الا وسعها (٨) واذا قتلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى (٩) وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (١٠) وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون."

ويبين احكامها وبواعثها المرحوم الامام محمود شلتوت في كتابه " تفسير القرآن الكريم " فعمل الشباب ان يقرأوه .

اقول قولي هذا لانه قد خطر لي ان اوصي محمد عبد الحكم او اي " محمد عبد الحكم " والدكتور طيب تيزيني او اي " طيب تيزيني " ... في الوطن العربي وصية اخشى ان تنقطع صلتني بالشورى، لاي سبب، قبل ان اوصي بها. والخواطر تتداعى كما تعلمون .

اقول:

لا تلتفتوا الى الوراء لتروا جيلنا . لقد ضيعنا ثمن قرن نتحدث عن ضرورة التنظيم القومي ولم نتقدم خطوة. وانتم اقرب اليه منا. انظروا امامكم وحققوا امل امتكم واداة ثورتها. احصروا انتباهكم في سؤال واحد. واقصروا جهودكم على الاجابة عليه. ما هي الخطوات العملية التي يجب انجازها لانشاء التنظيم

القومي؟.. بدون ان يكون جبهة. بدون ان تنتقل اليه رواسب الشللية. بدون ان يحدث فراغ بين ما هو كائن وما يجب ان يكون . بدون ان يكون تنظيم اي احد بعينه، او اية مجموعة بعينها، او اية دولة .. ليكون تنظيم الامة العربية.

اوصي بهذا لانني اتمنى ان ارى البداية، مجرد البداية قبل ان اموت .. ولم تعد في العمر بقية تكفي لحسم معارك الفلسفات الكلامية.. بينما الانحسار الذي بدأ في ١٩٦١ كاد يصل الى قاع الهاوية . فلينقذ الجيل الجديد امته .. بان ينشئ اداة انقاذها.

ليوفقكم الله.. ولتكونوا اسعد منا حظا..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

القاهرة في ٥ يونيو ١٩٧٥

١٤

بيان الى القراء :

في العدد الرابع الذي نعلق عليه الآن وننقده ، تعليق او نقد للعدد الثاني .

في بداية ذاك التعليق او النقد قلت :

" لا يستطيع ابو ذر ان يضع كل من يستحق على السفود، والا لاحتاج الى مصنع خاص لانتاج القضبان الحديدية والى مثل نار جهنم لا تحتاج الى وقود من خارجها . ثم هب ان ابا ذر قد اخذته العزة بالحق فحمل رئيس التحرير على سفوده وشواه ، فاصدر الشواء قرارا بالاستغناء عن الشاوي فماذا تكون النتيجة؟.. يختفي ابو ذر ويعود الى عزلته . الحق ان ابا ذر لم يعد يستطيع الا مكرها- وعسى الا تكرر هوه- ان يختفي من صفحات "الشورى" ويعود الى عزلته . الم يقل ان نقد "الشورى" قد اصبح مصدرا عظيما لتنمية ثقافته . ثم ما بالكم بمعتزل عرف متعة المناكفة والمداعبة والمشاغبة مع اصدقاء لا يعاديهم ولا يتمنى ان يعادوه . اعني كتاب الشورى..."

وفي ختام ذاك التعليق او النقد قلت :

" اقول قولي هذا لانه قد خطر لي ان اوصي.. وصية اخشى أن تنقطع صلاتي " بالشورى " لأي سبب قبل ان اوصي بها ..."

" وقد استشعر بعض قراء الشورى مما قلت ان ابا ذر يكاد يودعهم فجاءوا الي يسألونني هل فهمت مما قال ابوذر ما فهموا. وهم لا يدركون انهم يطرحون السؤال على موضعه . قلت لهم : لقد يكون قريبا مما فهمت ان ابا ذر قد طرح مشكلة ذات وجهين . اولهما : رغبته في ان يستمر في الكتابة. ثانيهما : امور لم يفصح عنها قد تكرر على وداع " الشورى " كتابا وقراء .

والحق ان اسباب القطيعة بين " الشورى" وابي ذر تتراكم منذ وقت وتكاد ان تثقل على الصلة القائمة بينهما مما قد يؤدي الى قطعها . وهي أسباب ذات شعب منها ما يتصل بالشورى ومنها ما يتصل بغير " الشورى " اما ما يتصل منها بأبي ذر فهو أخذه الأمور مأخذاً " مفرط " الجدية . وضيقة " المفرط " برخاوة تناول الأمور . ولقد ضاق ابو ذر ضيقاً شديدا حين لم يتلق العدد الثالث قبل ان يصدر العدد الرابع فلم يستطع ان يكتب عنه تعليقا ونقدا في حين انه كان قد الزم نفسه ان يتفرغ اسبوعا لنقده

والتعليق عليه كما يفعل مع كل عدد من " الشورى " ففضى اسبوعا فارغا لم يصدر خلالها من ادارة "الشورى" ما ينبىء بانها فطنة الى ان ابا ذر ينتظر . ومر بعضهم قريبا من ابي ذر وتحدث اليه فيما تحدث الا في "الشورى" والعدد المنتظر... واشياء اخر

وهذا بيان للقراء بان ليس للشورى الا ان تقر وتعتذر ثم ترعى علاقتها مع ابي ذر بمثل الجدية التي يريها بها . فان لم تفعل فودعا " للشورى" وكتابها وقرائها وسلاما على من اتبع الهدى .

السؤال المطروح :

منذ حين يحاول كثيرون باساليب شتى الاجابة على سؤال مطروح عن علاقة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بما سبقها من تاريخ ، وعلاقة منظمة "الضباط الاحرار" بالمذاهب والقوى السياسية التي كانت سائدة قبل الثورة . في سبيل الاجابة على هذا السؤال اجتهد كثيرون وقدموا اجتهاداتهم الى الجماهير العربية في خطب مسموعة او كتب مطبوعة او منشورة . وقد اعتمد اغلب الذين قالوا او كتبوا في اجاباتهم على بيان موقع موقف كل واحد من اعضاء مجلس قيادة الثورة من الاحداث والقوى قبل قيام الثورة . فلما ان تبينوا ان قد كان لكل واحد من مجلس قيادة الثورة اتجاهات فكرية وانتماءات سياسية مختلفة عن الاخرين ، وان اتجاهاته تلك قد اختلفت بين حين وحين، قالوا كما قال الدكتور عبد الكريم احمد في ختام مقاله " الثورة الناصرية واثرها في الفكر السياسي المصري" المنشور في العدد الرابع (السنة الثانية) :

" لقد كانت الثورة الناصرية هي النتيجة الطبيعية، ان لم تكن الحتمية، للتطورات السياسية والاجتماعية السابقة عليها. ومما يؤكد ذلك انها كانت تضم منذ بدايتها عناصر في قيادتها ممن يحملون بذور التيار الليبرالي بشقيه الراديكالي والمحافظ ، ومن يحملون بذور التيار الديني ، ومن يحملون بذور التيار الاشتراكي بمختلف اتجاهاته بما فيها التدريجي و لماركسي " .

وانفرد الدكتور عبد الكريم احمد، من بين كل الذين حاولوا الاجابة على السؤال المطروح ، باجتهد يستحق التأمل والانتباه . ويقول هذا الاجتهاد بان المبادئ الستة التي التقى عليها الضباط الاحرار وقامت من اجل تحقيقها الثورة، هي جماع المبادئ التي كانت متفرقة بين القوى السياسية السابقة على الثورة.

يقول :

" ومما يجعل الحكم على اتجاهات الثورة في بدايتها عسيرا اننا عندما نعد الى تحليل المبادئ الستة التي اعلنتها الثورة غداة نجاحها نجد انها كانت في الواقع صدى لهذا التكوين المختلط لقيادتها.

" فالمبدأ الاول، وهو القضاء على الاستعمار كان شعاراً ترفعه كل التيارات السابقة بلا استثناء . بل وجميع من عملوا في ساحة الحياة العامة المصرية منذ مطلع القرن وقبل ذلك .

"وكذلك يرتبط المبدأ الخامس : اقامة جيش وطني قوي بالمبدأ الاول وينطبق عليه نفس الشيء فيما يتصل بموقف هذه التيارات وان كان بدرجة اقل .

" اما المبدأ الثاني والثالث، وهما القضاء على الاقطاع والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم وكذلك المبدأ الاخير وهو اقامة حياة ديموقراطية سليمة، فكلها شعارات يمكن ان يرفعها ممثلو التيار الليبرالي والتيار الاشتراكي بل وكذلك التيار الديني على ان يفسرها كل منهم بطريقته الخاصة. (ويبقى بعد ذلك المبدأ الرابع الذي يتحدث عن العدالة الاجتماعية، ولاشك في ان هذا المصطلح اكثر ارتباطا باهداف التيار الاشتراكي (الديموقراطي الاجتماعي) منه بالتيارين الآخرين ، الا ان بعض ممثلي التيار الليبرالي وبخاصة الراديكالي ، والتيار الديني، وبخاصة المجددين منهم، استطاعوا تطويع مفهوم العدالة الاجتماعية لاتجاهاتهم ولم يلبسوا ان رفعوه هم ايضا كشعار من شعاراتهم..." .

اما القوى السياسية التي تمثل التيارات الفكرية قبل ثورة ١٩٥٢ فقد حددها الدكتور عبد الكريم احمد بانها :

اولا : " تيار يعبر عن مصالح طبقة كبار الملاكين والاقطاعيين من ابناء الاسر الكبيرة في الريف ويمثله حزبا الاحرار الدستوريين والاتحاد " .

ثانيا : " التيار الليبرالي الذي يمثله حزب الوفد الضخم الذي حظي بتأييد اغلبية كبيرة " .

ثالثا : " التيار الديني الذي ينادي بتطبيق الشريعة الاسلامية بدلا من القوانين الحديثة " . واهم من يمثله كان جماعة الاخوان المسلمين .

رابعا : " التيار الذي يمكن ان نطلق عليه في مجموعه الاتجاه نحو الديموقراطية الاجتماعية او "الاشتراكية" وقد كان من الطبيعي (هكذا يقول الدكتور عبد الكريم احمد) ان يكون الطابع الغالب على هذا التيار هو التيار الماركسي " .

ولقد استثنى الدكتور عبد الكريم احمد التيار الاول ثم اجتهد في بيان العلاقة بين ثورة ٢٣ يوليو والتيارات الثلاثة الاخرى فتحوّلت ثورة ٢٣ يوليو الى امتداد، على المستوى الفكري في المبادئ الستة وعلى المستوى الذاتي في اشخاص قيادتها ، للوفد والاعوان المسلمين والاشتراكيين الذين يغلب عليهم الطابع الماركسي .

والحق ان هذا لظلم بيّن لثورة ٢٣ يوليو في مستواها الفكري ومستواها الذاتي . والظلم لا يستغرب اذا جاء ممن لا يظاهرون الثورة فكرا او ينتمون اليها حركة. ولا يستغرب اذا جاء من الذين يتوهمون ان ثورة ٢٣ يوليو قد انتهت واصبحت تاريخا قديما فاباحوا لانفسهم الحديث عنها منصفين انفسهم ظالمين اياها حتى لو كانوا يوما من قادتها أو من قواها . ظلم ثورة ٢٣ يوليو لا يستغرب من احمد حمروش عندما يكتب مجلدين عن قصة الثورة يحاول فيهما ان يصورها كما لو كانت من صنع المنظمة الماركسية "حدوتو" لأنه وخالد محي الدين ويوسف صديق كانوا اعضاء في منظمة حدتو . فهؤلاء نفر كانوا يستهدفون ما لم تكن الثورة تستهدفه عام ١٩٥٢ فالتحقوا بها لاحتوائها ثورة فلما اخرجتهم قيادتها من صفوفها بعد اقل من ستة اشهر على قيام الثورة جاءوا يريدون اليوم احتواءها تاريخيا . فظلموها لينصفوا انفسهم . وظلم ثورة ٢٣ يوليو لا يستغرب من عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين حين جاءا يعلنان انهما قد استقالا من مراكز قيادتها يوم ان انحرفت عما يدنان به من فكر فاصبحت اشتراكية. انهما يظلمان الثورة بالنوايا ولا يفطنان الى انهما لم يظلما الا نفسيهما يوم ان كشفا عن مواقفهما الرجعية .

كل هذا لا يستغرب..

اما ان يأتي الظلم من الدكتور عبد الكريم احمد فهو غريب ..

اولا لأن الدكتور عبد الكريم احمد ينتمي الى ذلك الجيل من المخضرمين امثالنا الذين لم يعاصروا ما قبل الثورة ، واعين فحسب، بل انهم لم يكونوا في ذلك الوقت راكدين ، كان وعيهم واعمارهم تسمح لهم بان يخوضوا احداث ما قبل الثورة ويعرفوا من امرها ما يعرفه الخبير.

ثانيا لان الدكتور عبد الكريم احمد استاذ كبير، خبير بالعلوم السياسية، وعلى يديه يتلقى الشباب من الجل الجديد دروسا في الفكر السياسي وتاريخه فتوافرت له امكانيات الحكم الصحيح والتأثير الفعال. وهما مناطا المسئوليات الجسيمة فيما يكتب ويقال .

ثالثا، وهذا هو المصدر الاساسي للاستغراب، ان الدكتور عبد الكريم احمد ينتمي فكرا وموقفا، عقلا وعاطفة ، الى ثورة ٢٣ يوليو ولم يزل . اعني بهذه الكلمة الاخيرة انه لم يغير مواقفه ولم يخرج على الثورة لا عقلا ولا عاطفة كما فعل الاخرون وما يزال يعتز علانية بالانتماء اليها ويدافع علانية عنها... فلماذا يظلمها. .

خطأ المنهج :

احسب ان الدكتور عبد الكريم احمد لم يقصد ظلم ثورة ٢٣ يوليو حين ظلمها ، انما اراد ان ينصفها فانتهج في بيانه خطأ منهجيا ذهب بما قاله دفاعا عنها الى حافة الظلم لها . وهو لم يفعل هذا غيرما يفعل غيره من الذين لا يهتمون كثيرا بمناهج البحث العلمي فتقوتهم العناصر اللازمة لتفسير الاحداث التاريخية تفسيراً صحيحاً .

فمثلا :

١- لما ان عرف من معاصرته لتاريخ ما قبل ثورة ١٩٥٢ ان تيارات سياسية عددها كانت ترفع كل منها- منفردة - شعارا او اكثر من المبادئ الستة التي قامت عليها الثورة ، تصور ان تلك المبادئ وقد اجتمعت في الثورة بقيت كما هي فاعتبر مبادئ الثورة امتدادا لمبادئ الاحزاب قبلها. وفاته ان المبادئ المتفرقة بين قوى متعددة تحمل كل قوة منها ما تشاء منها ، اذا اجتمعت لقوة واحدة فقد تغيرت . تغيرت نوعيا وفي مضامينها ولم تعد هي هي : لسبب بسيط وهي عندما تجتمع تتكامل . يؤثر كل منها في الاخر فيغير مضمونه ، ويصبح كل منها حدا للآخر فتصبح اجزاء لا تفهم الا منسوبة الى الكل الذي يجمعها . وتطبيقا لهذا نستطيع ان نقول ان مضمون كل مبدأ من المبادئ الستة التي حملتها ثورة ٢٣ يوليو ليس امتدادا او استمرارا على اي وجه لذات مضمونه يوم ان كان يحمله- منفردا- اي من التيارات السابقة على ثورة ٢٣ يوليو.

٢- لما ان عرف من معاصرته لتاريخ ما قبل ثورة ١٩٥٢ ان كل واحد من اعضاء مجلس قيادة الثورة كانت له انتماءات فكرية او تنظيمية ، ثابتة او متغيرة، بواحد أو اكثر من الاحزاب والقوى السياسية السابقة ، تصور انهم عندما اجتمعوا معا في مجلس قيادة واحد لتنظيم ثوري واحد كان كل واحد منهم ما يزال محتفظا بانتماؤه السابق . فكما جمع المبادئ الستة ميكانيكيا، جمع مجلس القيادة ميكانيكيا فاصبح هو فلان وفلان وفلان . وفاته ان مجلس قيادة الثورة " شخص " آخر غير الاشخاص الذي يتكون منهم . لهذا الشخص فكر اخر غير افكار كل منهم وله ارادة غير ارادة كل منهم، وله اهداف غير اهداف كل منهم لان افكاره وارادته واهدافه هي الحصيلة الجدلية لالتقاءهم على افكار وارادات واهداف اكثر منها نضجا و تقدما لانها ثمرة الحوار والصراع الجدلي بين الافكار والارادات والاهداف فيما بينهم . ولا يمكن ان تنسب الى الثورة افكار او ارادة او اهداف الا ما ينسب لهذا الشخص

الآخر الذي هو مجلس القيادة كما يعبر عنه صاحب الحق تنظيميا في التعبير عنه وهو قائده . وبالتالي فان كل الافكار والارادات والاهداف وحتى الانتماءات الخاصة بأي عضو في مجلس قيادة الثورة كانت وما تزال من شئونه الخاصة التي لا تنسب الا اليه بعيدا عن نسبتها الى الثورة .

ولا يمكن ان ينسب الى ثورة ٢٣ يوليو من الافكار والارادات والاهداف الا ما عبر عنه قائد مجلس قيادة الثورة ، وبصفته هذه ، وكلنا نعرف من هو.

ان ما قاله وما اراده وما استهدفه جمال عبد الناصر، وهو يمارس دور القيادة ، هو وحده الذي يستحق ان ينسب الى الثورة . ولا يجدي اي واحد من اعضاء مجلس قيادة الثورة ان يقدم لنا مذكراته الشخصية عما كان يفكر فيه او ما كان يريد او ما كان يستهدفه ما دام قد عجز عن ان يحوله الى فكر و ارادة وهدف الثورة . كما لا يجدينا ونحن نتحدث عن ثورة ٢٣ يوليو ان نستمع الى مبررات العجز التي يشكو منها الان بعض القادة السابقين في مجلس قيادة الثورة . ان الدراسة المنهجية الصحيحة لا تعتد بما يقولون الا من حيث مدى اثره السلبي او الايجابي في فكر الثورة و ارادتها واهدافها ، ولكنها لا تعتد به كفكر او ارادة او هدف من افكار و ارادة واهداف الثورة .

انهم يبحثون، يا دكتور عبد الكريم ، عن صكوك براءة مما يحسبونه تهما وهو موقف مجرد من العلمية ومن الاخلاق ايضا فلا تتبرع لهم بما يريدون وانت لست معهم و لست مثلهم خلقا .

٣- ان الخطأ المنهجي الاكبر الذي وقع فيه الدكتور عبد الكريم احمد، وكل الذين كتبوا ويكتبون عن علاقة ثورة ٢٣ يوليو بما سبقها من مبادئ وقوى قد سلبه، كما سلبهم ، المقدره على الاجابة على السؤال الحاسم :

اذا صح ان اعضاء مجلس قيادة الثورة قد ظلوا بعد قيامها على افكارهم وانتماءاتهم السابقة، فلماذا اسسوا " منظمة الضباط الاحرار " اصلا..؟ لماذا لم يحاول كل منهم ان يحقق ما يريد من موقع انتمائه الفكري والحركي الى القوة السياسية التي كان ينتمي اليها؟ .. لا بد ان يكون كل واحد منهم قد قارن بين جدوى بقاء انتمائه القديم فكريا او تنظيمياً و جدوى انتمائه الى منظمة جديدة فاختر الجديد. وهنا يكمن السؤال : ما هو الفارق- الجديد- الذي حمل كل واحد منهم على حدة على ان يختار الانتماء الى الضباط الاحرار بدلا من الانتماء الى حزبه؟

الجديد اما ان يكون في الفكر او يكون في الاسلوب.

يقول الدكتور عبد الكريم احمد في ختام مقاله " الثورة الناصرية : اثرها في الفكر السياسي المصري " : ان الاتجاه الحقيقي للثورة لم يكن محدد مسبقا بل انه تكون بعد ذلك من خلال الممارسة، ونضيف : الا الاتجاه الذي يمثله ويعبر عنه اجتماع المبادئ الستة التي كانت من قبل شعارات يرفع كل حزب ما يختار منها .

اذن فقد يكون الجديد هو الاسلوب. اعني اسلوب تغيير الواقع في مجتمع اظهر عناصر واقعه ، بالاضافة الى التخلف ، الاحتلال الاجنبي الذي كان يشل حركة تطوره بما يستطوع منذ سبعين عاما. وفي مواجهة الاحتلال الاجنبي يختلف الناس اسلوبا فمنهم الثوري ومنهم الاصلاحى . الثوري يتعامل مع القوى الاستعمارية باسلوب التعامل مع الاعداء فهو لا يعترف ولا يصطلح معها ولا يفاوضها ولا يساومها بل يقاتلها بكل اداة من اول الكلمات الى الرصاصات . ويدرك الثوريون ان التناقض الاساسي في ظل الاحتلال الاجنبي يقوم بين ارادة التحرير من ناحية وواقع القهر من ناحية اخرى فيضعون متطلبات معركة التحرر فوق كل المتطلبات الاخرى ، ويحددون مواقفهم من الاحداث والناس والقوى

طبقا لمواقفها من معركة التحرر . اما الاصلاحيون فيتعاملون مع قوى الاحتلال من منطلق مهزوم اصلا . يعترفون بشرعية الامر الواقع ويصالحون اعداءهم ويفاضونهم ويساومونهم على ذات مصير وطنهم . وفي كل مجتمع محتل لا يوجد - اذا استبعدنا الخونة- الا تياران اساسيان : تيار ثوري وتيار اصلاحي . وهذا لا يحول دون ان يفترق الاصلاحيون في اشكال تعاملهم مع المحتلين فيتوزعون احزابا . ويتنافسون فيما بينهم على "انساب" تلك الاشكال ويكون محور تنافسهم هو : من منا اكثر قبولا لدى من بيده الامر . ومن منا اقرب الى قلوب السادة فهو اقدر على ان "يسترد" منهم بعضا من الحرية المفقودة . هذا بينما يبقى الثوريون في موقف رفضهم التعامل مع العدو الا باسلوب التعامل مع الاعداء .

الاساس الفكري :

ولسنا نقول هذا لاننا نسطنع مقدمات لنصل الى نتائج نريد ان نقولها . ولكننا نقوله لاننا لا نفهم الاحداث ولا نفسرها الا على هدى منهج علمي نحتكم اليه ونقبل مقدما ما يؤدي اليه هذا الاحتكام . والمنهج- كما لا شك يعرف الدكتور عبد الكريم احمد - هو مجموع القوانين الموضوعية التي تضبط حركة الاشياء والظواهر حتما . وهي موضوعية بمعنى أن وجودها وفعاليتها غير متوقف على معرفتنا اياها . ان عرفناها فاستخدمناها في المعرفة اصبنا . وان جهلناها أو تجاهلناها او انكرناها فقد نصيب وقد نخطيء . ويأتي الصواب والخطأ صدفة . وانا لنعرف- كما لا شك يعرف الدكتور عبد الكريم احمد- ان فهم الاحداث التاريخية وتفسيرها طبقا لقانون التطور الاجتماعي لا يصح الا اذا كانت في مجتمع متحرر من القهر الخارجي (الاحتلال) او القهر الداخلي (الديكتاتورية) . ففي المجتمع المتحرر وحده يخضع التطور الاجتماعي لقوانينه الموضوعية وتتحدد مواقف الناس فيه، ويفرزون تيارات او احزابا تبعا لمدى وعيهم على مصالحهم المادية والثقافية وعلاقتها بمصالح المجتمع الذي ينتمون اليه ككل . ويصح حينئذ ان نفرز من بين الناس تلك التيارات التي تحدها مصالح اصحابها كما يعرفها . ويصح حينئذ تقسيم تلك التيارات الى اقطاعيين وليبراليين ودينيين واشتراكيين . وتكون تلك المواقف المتميزة من الواقع الاجتماعي ومشكلات تطوره هي مناط الحكم والتقييم .

اما عندما يفرض القهر من الخارج ، او من الداخل ، ويصبح المجتمع كله، بما فيه من موارد وبشر، مسخرا، بالقوة ، لتحقيق غايات معينة سلفا ومفروضة عليه بالعنف فان شرط الحرية اللازمة لفاعلية القوانين الاجتماعية يزول . وتصبح المشكلة الاساسية التي تواجهها القوى السياسية هي كيف يتحرر المجتمع ليستطيع ان يتطور وليس كيف يتطور المجتمع في ظل الاحتلال . فيختار الثوريون الحرية ، وتصبح مضامين التطور الاجتماعي بالنسبة اليهم هدفا مرتبطا بانجاز مرحلة التحرر: التحرر من اجل التطور الاشتراكي مثلا .. ويختار الاصلاحيون لعبة التعامل الظاهر او الخفي مع القوى المحتلة او القاهرة.. ويبادلونها مصلحة بمصلحة. تولي السلطة في مقابل الاعتراف. التنمية في مقابل ان يكون للمحتل نصيب من العائد . شرعية الاحزاب في مقابل شرعية احتلال . نشر التعليم في مقابل ان يكون بلغة المحتل وثقافته . الى اخره . وفي حدود ما تسمح به القوة المحتلة في حدودها فقط ، وبقدر ما تسمح فقط ، يتصارع الاصلاحيون على فتات ما يلقي اليهم من مائدة امتهم المغتصبة. ويستعيرون عناوين سياسية فهم ليبراليون او راديكاليون او ديموقراطيون اجتماعيون ...

اذن، وهذا مجرد اجتهاد ، لا ينبغي ان نحتكم في بيان القوى السياسية في مجتمع محتل الى ذات المقاييس التي نحتكم اليها في بيان القوى السياسية في مجتمع متحرر. ان اول مقياس في المجتمع المحتل هو فرز الناس على اساس موقفهم من المحتل نفسه واسلوب تعاملهم معه. وبعد هذه البداية نستطيع- اذا كان ذلك لازما- ان نصنف القوى داخل التيار الثوري حسب الوعود الاجتماعية التي يربطونها بالتحرر وتصنيف القوى داخل التيار الاصلاحي حسب المواقف التي يأخذونها من القضايا الاجتماعية في ظل الاحتلال . وقد نجد ان بعض الشعارات مرفوعة في صفوف الثوار وفي صفوف

الإصلاحيين . فإذا لم نطفن الى التيار الاساسى الذي تنتمي اليه كل قوة وقعنا في خطأ الجمع بين القوى التي ترفع شعارا واحدا بالرغم من اختلافها الاساسي في مواقفها من قضية التحرر . فتحسب مثلا ، ان " التيار الديموقراطي " يجمع كل الذين يرفعون شعار الديموقراطية بينما يكون شعار الديموقراطية في التيار الثوري مرفوعا كهدف من اهداف الثورة في الوقت الذي يرفعه الاصلاحيون بديلاً عن الثورة ... وهكذا.

ويعرف الدكتور عبد الكريم احمد كما نعرف جميعا ان مصر العربية عام ١٩٥٢ وما قبله كانت محتلة فيكون همنا

اولا ان نبحت في تاريخها السابق على ثورة ٢٣ يوليو عن التيارات السياسية الاتية: التيار العميل الخائن ، التيار الوطنى الاصلاحى، التيار الوطنى الثوري ، ثم يكون علينا بعد ذلك - ثانيا- ان نعرف الى اي تيار من هذه تنتمي ثورة ٢٣ يوليو .

المرجع:

ان مرجعنا هو الدكتور عبد الكريم نفسه. ففي رساله الدكتوراه التي تقدم بها الى جامعة القاهرة في عام ١٩٧٠ وحصل بها على درجته العلمية المرموقة قال :

" وقد بدأ القرن العشرون وليس في مصر سوى قوتين سياسيتين ذات فعالية، المستعمر الاجنبي والقصر الذي كان يمثل خديو اجنبي الى حد كبير. ولكن لم تمض السنوات الاولى منه حتى كان المثقفون المصريون قد احتلوا مراكزهم كقوة ثالثة على رأس الشعب المصري ، وظلت هذه القوة الثالثة تنمو معبرة عن الارادة القومية للمصريين الى ان بلغت ذروتها في ثورة ١٩١٩ . وكان معظم هؤلاء المثقفين المصريين من تلامذة محمد عبده الذين تشرّبوا تعاليمه التقدمية واتفقوا معه في مبدأ الأخذ من الفكر الغربي الحديث بالقدر الذي يتفق مع الشخصية المصرية النامية ومع تقاليدھا وتراثھا ، ومالا غنى عنه لبناء الدولة العصرية .

" وقد انقسم هؤلاء المثقفون اساسا الى فريقين : يمثل احدهما النزعة الثورية بزعامة مصطفى كامل، ويطالب بالاستقلال الفوري والحكم البرلماني المسئول والتعليم للجميع واشترآك الشعب في الحكم .

" اما الفريق الثاني، الذي تألف منه حزب الامة فكان يتكون من لفيف من المثقفين الذين تلقوا تعليما غربيا وهضموا كثيرا من المفاهيم السياسية الجديدة وبدأوا يدعون الى بناء دولة مصرية عصرية، وكان من ابرز هؤلاء المثقفين لطفى السيد واحمد فتحي زغول وقاسم امين وسعد زغول .."

ولسنا نريد ان نضيف الى هذا الا ثلاث نقط . الاولى ان فريق مصطفى كامل كان فريقا منظما اسمه " الحزب الوطنى " ، وهو ذات الاسم الذي حملته تنظيم احمد عرابي الذي خاض معركة الدفاع ضد الاحتلال سنة ١٨٨٢ . والنقطة الثانية : ان الفارق الاساسي بين الحزب الوطنى وحزب الامة كان منصبا على اسلوب التعامل مع الاحتلال . الحزب الوطنى يرفض شرعية الاحتلال ولا يعترف به ويرفع شعار " لا مفاوضة الا بعد الجلاء " ويتجه الى الشعب يعده للثورة ، ويتجه الى الميدان السياسي الخارجى ليجمع الحلفاء ضد المحتلين ولكنه يرفض تولي السلطة او المشاركة فيها في ظل الاحتلال . وحزب الامة يسلم بمشروعية الاحتلال ويعترف بالمحتلين ويرفع شعار التعاون معهم في نهضة البلاد تعليميا واقتصاديا ويتجه الى الاحتلال وعميله " القصر " ، في كل ما يريد ان يفعله ليستأذن اولا ويستمد من صاحب الاذن شرعية ما يفعل . النقطة الثالثة هي ان التناقض بين التيار السياسي الذي يمثله الحزب الوطنى والتيار السياسي الذي يمثله حزب الامة كان في مثل حدة وعنف التناقض بين

التحرر والاحتلال نفسه . فعندما حدث صراع مسلح بين بعض الفلاحين وبعض جنود الاحتلال في حادثة دنشواي الشهيرة ، وقف الحزب الوطني موقفا ثوريا مع الفلاحين وشن حملة عالمية هائلة على الاحتلال انتهت بطرد اللورد كرومر . هذا بينما اختار المحتلون احمد فتحي زغلول عن حزب الامة ليكون قاضي دنشواي الذي حكم بقتل الفلاحين وجلدهم في موقع الاشتباك وامام اعين اهلهم .

وهكذا كان في مصر العربية تياران اساسيان . تيار ثوري وتيار اصلاحي .

اما التيار الثوري فقد ضرب ضربة قاسية بعد سنة ١٩١٤ عندها اعلنت الحماية على مصر . فسجن زعماءه وطردوا وأغلقت صحفه وحيل بينه وبين ما كان يمارسه من وجود علني . اما التيار الاصلاحي الذي بدأ بحزب الأمة فقد تكاثر وخرجت منه اسر اصلاحية كثيرة اسمت نفسها احزابا باسم " الاحرار الدستوريين " او " الاتحاد " او " الشعب " او " الوفد " او " السعديين " او " الكتلة " الخ . وكلهم - في شأن قضية التحرر- ينتمون الى التيار الاصلاحي ويختلفون فيما بينهم حول قضايا اخرى اغلبها ذاتية وبعضها وطنية ومصالحية مع ملحوظة وحيدة هي ان الوفد لم ينشأ حزبا بل نشأ " وفدا " مختارا من الساسة العاملين حينئذ يوفده الشعب الى مؤتمر الصلح في باريس ليعرض قضية استقلال مصر عليه استنادا الى حق تقرير المصير الذي اعلنه الحلفاء . في ذلك الوقت كان محمد فريد قائد الحزب الوطني منفيًا في اوروبا ، ولكن الحزب ايد ايفاد وفد للمطالبة بالاستقلال ومثله في الوفد واحد من اعضائه البارزين : مصطفى النحاس . بعد فشل الوفد قامت ثورة ١٩١٩ الجماهيرية . فمن الذي كان قد علم جماهير ١٩١٩ من الفلاحين والعمال والطلبة.. ان الاستقلال لا ينتزع الا بالثورة ؟ ليس اعضاء الوفد .. ولكن تراكم الممارسات التي كان التيار الثوري قد ربي عليها جيلا كاملا من المصريين في المعاهد والمدارس الليلية والنقابات التي انشأها . ولعل هذا ما يفسر " العناد " الوطني الذي عرف به مصطفى النحاس فيما بعد . انه على أي حال خريج المدرسة الثورية الذي لم يكن يوما منتميا الى حزب الامة ولا من رجاله . فشلت الثورة ايضا فتحول الوفد الى حزب ثم احزاب كلها امتداد لحزب الامة ، أي الى التيار الاصلاحي ..

تاريخ ما أهمل التاريخ :

الذي لم يكتب بعد على الوجه الذي يستحقه هو الاجابة التاريخية على السؤال : ما الذي آل اليه التيار الثوري الذي بدأ باحمد عرابي ثم مصطفى كامل ثم محمد فريد، بعد ان ساد وحكم التيار الاصلاحي ممثلا في احزابه التي تنازعت وتقاسمت الحكم بعد فشل ثورة ١٩١٩ ؟

نقول :

ان الحزب الوطني كمؤسسة جماهيرية علنية قد تقلصت بشرا واثرا بحيث انه في الفترة ما بين ١٩١٩ الى ١٩٥٢ لم تكن تلك الحفنة العنيدة من الرجال الذين ابقوا على الحزب الا رمزا لبقاء المقاومة الثورية التي لا يمارسونها هم انفسهم . كانوا يقاومون الاتجاه الاصلاحي بصلابة ولكن في اطارها الشرعي الذي صاغته الاحزاب الاصلاحية . وكانوا يرفضون الاشتراك في الحكم فلم يكن للحزب الممثل فيهم جاذبية او امكانات الممارسة الشعبية واسعة النطاق . وكانوا متمسكين "بالامفاوضة " مع الاحتلال فلم يساهموا في لعبة المساومة مع المحتلين . واستجمعوا كل قواهم في آخر معركة مجيدة لهم في الحملة الهائلة التي شنوها على معاهدة ١٩٣٦ التي ابرمتها جماعة "حزب الامة " التي اصبحت جبهة من الاحزاب الاصلاحية والمستقلين .

ولكن ، يا دكتور عبد الكريم .. ويا ايها الشباب العربي .. لم يكن هذا هو كل شيء في تاريخ مصر العربية . الذي لم يكتبه احد بعد هو انه منذ ١٩١٤ تاريخ فرض الحماية الانجليزية على مصر، وضرب

الحزب الوطني " العلني " لجأ التيار الثوري مباشرة الى مواجهة الموقف الجديد بأسلوب جديد هو : النشاط الثوري السري . وكان ايضا تحت قيادة شباب الحزب الوطني (حينئذ) الذي لم يعرف الشعب عنهم شيئا منذ ذلك الحين بينما كانوا يقودون ثورته الصامتة في الخفاء ولم يظهرها الا مع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كأنهم خرجوا من جوف الارض . ولكن النشاط الثوري السري اتسع لكل الثوريين حتى ممن كانوا غير منتمين للحزب الوطني وامتد فوجد عناصره وادار معركته حتى بين صفوف الأحزاب الاصلاحية . ولقد استطاع ان يضع احد رجاله في اقرب موضع مع سعد زغلول نفسه وهو عبد الرحمن فهمي ، الذي انشأ " الجهاز السري " للوفد كما يقول المؤرخون بينما الجهاز كله كان ينفذ مخططات ثورية لم يقرها الوفد بل قررها التيار الثوري المتمركز خارج الوفد والأحزاب الاصلاحية الأخرى .. وكان النشاط كله بقيادة شخص ما يزداد حيا وان كان اغلب الناس لا تعرفه، لأنه منذ ١٩١٤ حتى ١٩٥٢ لم يكن الا موظفا بسيطا في اجهزة دولة مصر هو: عبد العزيز علي قائد التيار الثوري في مصر ورائده ومعلمه منذ سنة ١٩١٤ .. ومؤسس كل الجماعات الثورية التي كانوا يطلقون عليها " اراهبية " بدأ بجماعة " اليد السوداء " ولأن العمل الثوري في ظل الاحتلال لا بد له من ان يكون عنيفا فان كل العشرات والمئات من اول الجنود الى الخونة الى اخر القائد الانجليزي للجيش المصري كانوا قد اعدوا بناء على احكام اصدرها التيار الثوري المنظم الذي لم يكن يعرف عنه احد شيئا ... هذا- طبعاً- بالإضافة الى التبشير الفكري السري الذي كان يأخذ شكل منشورات والتحرك الجماهيري الذي كان يأخذ شكل المظاهرات . منشورات ومظاهرات تحمل عناوين شتى ويقودها - او تحسب انها تقودها- شخصيات متنوعة الاتجاهات، ولكن الذي ينظمها ويحركها ويقودها فعلا جنود مجهولون ينتمون الى التيار الثوري ومنظماته.

الاتجاه الى الجيش :

في عام ١٩٤٠ قررت قيادة المقاومة الثورية للاحتلال تجنيد افراد من الجيش المصري للعمل الثوري . وتشكلت أول خلية من القوات المسلحة من ضباط سلاح الطيران (سعودي وبغدادى ووجيه اباطة وحسين ذو الفقار) وكانت تلك اول جماعة منظمة فيما عرف بعد باسم الضباط الاحرار . واقسم كل من هؤلاء يمين الولاء للثورة امام عبد العزيز علي الموظف البسيط في ذلك الوقت في الادارة المالية لمحافظة القاهرة . وبدأ انتشار الخلايا الى حين ان وصل الى جمال عبد الناصر فتغير كل شيء تغييرا نوعيا . فقد كان جمال عبد الناصر اكثر مقدر على التنظيم السري من القيادة المدنية . وكانت القيادة المدنية اكثر ولاء للتيار الثوري واهدافه من المزاحمة على القيادة، فاستقل الضباط الاحرار بتنظيمهم تحت قيادة جمال عبدالناصر واستمرت الحركة المدنية بقيادة جيل جديد من شباب الحزب الوطني ، وظل الطرفان يرجعان للمشورة الى الرجل الذي تنحى وبارادته ليفسح المجال لمن اصبح اقدر منه بحكم الموقع والسن . ولقد كان عبد العزيز علي استادا معترفا به من الضباط الاحرار ومستشارا يرجعون اليه حتى قيام ثورة ١٩٥٢ عندما نقلوه من وظيفته البسيطة الى منصب الوزارة في اول وزارة للثورة .

الى من تنتمي ثورة ٢٣ يوليو:

هل نريد بهذا التعليق على مقال الدكتور عبد الكريم احمد ان نقول ان ثورة ١٩٥٢ تنتمي الى التيار الثوري في مصر الذي بدأه احمد عرابي، في مواجهة وضد التيار الاصلاحى الذي بدأ بحزب الامة وامتد في الاحرار الدستوريين والوفد والسعديين والكتلة... الخ؟

نعم

ان جمال عبد الناصر هو القائد الرابع للتيار الثوري في مصر . عرابي فمصطفى كامل فمحمد فريد فجمال عبد الناصر. وقد كنا نتمنى لو أن الدكتور عبد الكريم احمد فطن الى المشابهة بل المطابقة تقريبا- مع اختلاف اللغة- بين المبادئ الستة التي بدأت بها ثورة ١٩٥٢ وبين المبادئ التي قامت من اجل تحقيقها ثورة عرابي عندئذ كان يمكن ان يجد العلاقة بين الجانب التحرري والجانب الاجتماعي منها . فاحمد عرابي ركز على الجانب التحرري لان الظروف الاجتماعية لم تكن نضجت بعد ليرفع شعاراتها الاجتماعية . فيأتي مصطفى كامل ويعمق افكارها التحررية ويأتي محمد فريد ويتصل اتصالا مباشرا بالحركة الاشتراكية في اوربا وتتأثر الحركة الوطنية المصرية الثورية في مصر بهذا الاتصال ويتجه الحزب الوطني بقوة الى انشاء النقابات العمالية وفتح المدارس الشعبية الليلية التي كان يدرس فيها قادة الحزب انفسهم . ويحضر رئيس الحزب مؤتمرات اشتراكية دولية التي تنعقد في اوربا ممثلا للحزب . ثم ينقطع هذا الاتجاه بتولي الاصلاحيين الحكم بعد ثورة ١٩١٩ ، ولكن تلك المبادئ التي تتجه الى التكامل تظل تتفاعل وتنتشر في ظل الكفاح الثوري ضد الاحتلال ، الى ان تلتقي معا في المبادئ الستة لثورة ٢٣ يوليو . ثورة ٢٣ يوليو التي قامت ضد كل عناصر التيار الاصلاحى كما كانت تمثله الاحزاب الحاكمة في ذلك الوقت.

ولهذا نقول عنها ثورة.

ولو كانت امتدادا مختلطا من مبادئ الاصلاحيين لكانت انقلابا .

فهل هي ثورة ام انقلابا ؟ ..

ما خفي كان اعظم :

لوصح ما قلنا لكان لا بد له من ان يتجسد في ممارسات عينية تعبر بها ثورة ٢٣ يوليو عن انتمائها الى التيار الوطني الثوري الذي بدأه احمد عرابي بدلاً من مجرد التحليل التاريخي . اذ ليس من المعقول ان تكون ثورة ٢٣ يوليو كما تعي ذاتها تنتمي الى تيار ثوري نشيط خارج القوات المسلحة ولا تلتقي به في مراحل نضالية مشتركة. لنطرح السؤال بوضوح اكثر ليكون الدليل على ذلك الانتماء اكثر وضوحاً : ماهي العلاقة النضالية بين منظمة الضباط الاحرار والحزب الوطني (ممثلا في قوته السرية وليس في تشكيله العلني) قبل سنة ١٩٥٢؟..

لسنا نعيد هنا العلاقة التأسيسية التي تحدثنا عنها، ولا العلاقة الشخصية التي كانت قائمة بين الافراد، كما اننا لا نفشي الان كل اسرار الاجتماعات المشتركة بين بعض الضباط الاحرار وبعض شباب الحزب الوطني من قوته الثورية في منزل الشيخ محمد الاودن في منزله في الزيتون ، ولا نريد ان نذكر المشروع المشترك الذي اعده الحزب الوطني سنة ١٩٥١ وعرض على الضباط الاحرار بتكوين قوة مقاتلة مشتركة تعبر الى سيناء وتدير من هناك حرب عصابات ضد القوات البريطانية..

نكتفي فقط بنموذج واحد..

الغيت معاهدة ١٩٣٦ في اواخر عام ١٩٥١ وكان ذلك نصرا بينا لمبادئ التيار الثوري الذي لم يكف ابدا عن مناهضتها. وبدأت حركة مقاومة شعبية في منطقة القناة تحت اسم كتائب التحرير وتنافست الاحزاب جميعاً في ارسال طوابير كثيفة من شبابها تقوم باستعراضات عسكرية حول معسكرات الانجليز.. ولم يكتب احد بعد اين كان تنظيم الضباط الاحرار من تلك المعركة.. وما يؤسف له ان " الميثاق " وهو يستعرض تاريخ مصر الحديث اغفل الحديث عن تلك الفترة المجيدة من النضال الوطني الثوري ..

الان نقول، او نستطيع ان نقول :

انه تحت ستار التظاهرات العلنية الكثيفة التي استغلّت فيها الاحزاب الاصلاحية معركة القناة الشعبية بعد الغاء المعاهدة كانت في منطقة القناة ثلاث قوات ثورية حقا تقاتل حقا . اولها في القنطرة قرب الاسماعيلية وعناصرها الأساسية من جماعة الاخوان المسلمين . وثانيهما في السويس وعناصرها شعبية والثالثة في الشرقية في منطقة ابو حماد . هذه القوة الثالثة التي لم تظهر ابدا علانية ولم تصدر ابدا نشرات وصورا عما كانت تفعل والتي اتخذت مواقعها الخفية في قرية المحجر وقرية السهرية بعيدا عن المدن ، وادارت معركة " القرين " الشهيرة وقاتلت حتى بعد حرق القاهرة ، ممن كانت تتكون وكيف تكونت؟..

انهما مجموعتان (٢٥ فردا في كل مجموعة) تكونتا من شباب الحزب الوطني . حملت احدهما اسم كتيبة مصطفى كامل وحملت الاخرى اسم كتيبة محمد فريد . دربتهما واعدتهما للقتال منظمة الضباط الاحرار . تم التدريب النظري في منزل رقم ٢ شارع خيرت بالسيدة زينب بالقاهرة خفية . خفية حتى عن التشكيل العلني للحزب الوطني . وتم التدريب العسكري على الرماية بالاسلحة الخفيفة في معسكرات سلاح المدفعية . وتم التدريب على استعمال المتفجرات في معسكرات سلاح المهندسين . منظمة الضباط الاحرار هي التي ادخلتهم خفية ودربتهم في تلك المعسكرات . ولما تم اعدادهم هي التي سلحتهم . وقبل ان يتجهوا الى الجبهة عينت لهم قيادة سياسية وقيادة عسكرية. اما القيادة السياسية فكانت من الحزب الوطني ومهمتها التدريس والتوعية للمقاتلين بالقضايا الدولية والوطنية ونظم الحكم والتقدم الاجتماعي والاقتصادي . وحملت معها مكتبة كاملة وذلك اثناء النهار الذي اتفق على ان يختفي اثناءه المقاتلون . واما القيادة العسكرية فقد اختارتها منظمة الضباط الاحرار وقد اختارت لها الضابط وجيه اباطة (محافظ القاهرة فيما بعد) . ومهمته التواجد في المنطقة ابتداء من مغرب كل يوم لقيادة المجموعات في العمليات الهجومية على المعسكرات. اما ضابطا الاتصال اللذين لعبا منذ البداية دورا اساسيا في هذا النشاط المشترك فكانا- عبد المجيد فريد (سكرتير رئاسة الجمهورية فيما بعد) ممثلاً للضباط الأحرار، ومحمد عبد الرحمن حسين (المستشار فيما بعد) ممثلاً للحزب الوطني ..

وكان الهدف المتفق عليه : تكوين جيش ثوري من خلال القتال ضد المحتلين يكون قادراً في مرحلة لاحقة على اشعال الثورة في القاهرة واسقاط النظام البائد..
وفشلت الخطة عندما حرقت القاهرة وعاد الذين ذهبوا يلتمسون في معركة القناة سبيلا الى الثورة في مصر.. ولم يقل احد شيئاً ولم يكتب احد شيئاً، لان الثوار حقا لا يهمهم ان يقولوا ماذا يفعلون..

هل كل هذا صحيح؟

عندما قامت الثورة قفز من الظلام الى النور فجأة رجل اسمه سليمان حافظ . كان وكيلا لمجلس الدولة فاصبح المدني البارز بجوار القيادة العسكرية للثورة . وكان هو الذي وضع وثيقة تنازل فاروق عن العرش . وكان هو- وليس احدا غيره او معه- الذي ذهب الى فاروق في قصره وطلب منه التوقيع على الوثيقة . فلما وقع بيد مرتعشة طلب اليه ان يوقع مرة اخرى بيد ثابتة . ويشن احمد حمروش في كتابه حملة شعواء على سليمان حافظ ويتهمه بأنه المسئول عن الاجراءات العنيفة ضد الاحزاب التي اتخذتها الثورة في سنتها الاولى . ويشير الى تأثيره القوي على عبد الناصر. واحمد حمروش مخطيء. فبعد الناصر لم يكن الرجل الذي يخضع لتأثير رجل مدني اسمه سليمان حافظ . كان اولي باحمد حمروش ان يسأل نفسه : لماذا قفز سليمان حافظ من منصبه القضائي الى موقع القيادة في الثورة ، وما هو مصدر حقه في ممارسة مهمات الثورة الصعبة . ولماذا كان " الضباط" يقبلون تصديه لتلك المهمات ، ولماذا كان نائباً لرئيس الوزراء في اول وزارة تولفها الثورة (٧-٩-١٩٥٢) . ولو سأل احمد حمروش نفسه،

بدلا من محاولة ان يصور ثورة ٢٣ يوليو كما لو كانت ثورة منظمة الشيوعية " حدثو " لعرف الاجابة على اسئلة اخرى . منها مثلا : لماذا كان نصف الوزراء في اول وزارة شكلتها الثورة من المنتمين الى الحزب الوطني (سليمان حافظ- نور الدين طراف- حسين ابو زيد - عبد العزيز علي- محمد فؤاد جلال- محمد صبري منصور- فتحي رضوان) . لا يمكن ان يكون كل هذا اعتبارا ، ولكن كان وراءه تاريخ . تاريخ ثوري سري فهو غير معروف الا لاصحابه . واصحابه ثوريون فلم يكن يهمهم ان يعرف .. اما الان فلا بد من ان يشار اليه على الاقل حتى لا يقع واحد من اخلص الرجال لثورة ٢٣ يوليو وجمال عبد الناصر مثل الدكتور عبد الكريم احمد في الخطأ الذي وقع فيه فيحسب ان ثورة ٢٣ يوليو هي الحلقة الاخيرة من التيار الاصلاحى الذي بدأه حزب الامة بدلا من ان يعرفها الحلقة الاخيرة من التيار الثوري الذي بدأه الحزب الوطني . وان جمال عبد الناصر هو خليفة سعد زغلول ومصطفى النحاس بدلا من ان يعرفه خليفة محمد فريد ومصطفى كامل..

لا اعتذر:

لست مدينا باي اعتذار لقراء الشورى عن هذه الإطالة في التعليق على مقال الدكتور عبد الكريم احمد. ولو كنت قصدت به مجرد الحوار لاعتذرت . ولو كنت قصدت به استعراض معرفتي بالتاريخ لاعتذرت . اذ ماذا يهم القراء من الجيل العربي الجديد من حوار حول التاريخ يدور بين اثنين من شيوخ الجيل السابق .

ولست اعتذر فلقد قصدت به ما يهم الجيل العربي الجديد من قراء مجلة الفكر القومي التقدمي . ففي مصر العربية يقيم ثلث الشعب العربي أو اكثر. ومن هنا فان أي حركة الى المستقبل القومي تجري بعيدا عنهم او في عزلة منهم لن تحمل من القومية الا اسمها . هذا الثلث من الشعب العربي يمثل بالنسبة الى امته قمة نضجها الاجتماعى والحضارى وبالتالي فان مصير الامة العربية ككل متوقف الى حد بعيد على ما يدور في مصر . ان انتكست انتكست. وان انتصرت انتصرت. هذا حكم الواقع التاريخي الراهن سواء اعجب احدا ام لم يعجبه . ومن هنا فان كل قضايا الشعب العربي في مصر هي في القمة من قضايا الامة العربية. ويمثل الموقف منها افضل المحركات المعاصرة للتمييز بين المواقف القومية والادعاءات القومية..

ثم ، وهذه هي الخلاصة : ان التيارين الاساسيين ، التيار الثوري الذي بدأه الحزب الوطني، والتيار الاصلاحى الذي بدأه حزب الامة قد عادا يتنازعا ن مصير الشعب العربي في مصر اي مصير الامة العربية ذاتها ، بعد ان حسب البعض ان ثورد ٢٣ يوليو قد حسمت الخيار الى الابد لصالح التيار الثوري . وفي محاولة الانتصار للتيار الاصلاحى يحاول كثير من الكتاب منذ فترة نسبة ثورة ٣٣ يوليو الى التيار الاصلاحى لتضاف اليه ايجابياتها كموقف مناهض للتيار الثوري الذي ما تزال الثورة مستمرة فيه.

ومقال الدكتور عبد الكريم ينتمي الى الكتابات التي تنتصر للتيار الاصلاحى وتساعد في اضافة ثورة ٢٣ يوليو الى رصيده مناهضة للتيار الثوري ، هذا في حين ان الدكتور عبد الكريم احمد شخصيا ينتمي الى التيار الثوري الذي يناهض التيار الاصلاحى..

هذا التناقض بين موقف الكاتب ومقاله.. هو الغريب لان الكفاءة الفكرية والخبرة السياسية المتوافرتين للدكتور عبد الكريم احمد كانتا كفيلتين بان يقول غير ما قال .

فلنقل اذن.. لكل عالم هفوة .

مشكلة الممارسة الديمقراطية:

لم اكن واثقا ما اذا كان من حق ابي ذر ان يضع على سفوده " الوثائق " التي تنشرها مجلة "الشورى " . اعني انني ترددت بين ان اعلق اولا على الوثيقة التي نشرت في العدد الرابع (السنة الثانية) من الشورى . والوثيقة هي قرار مجلس الثورة الصادر في ٣ ابريل ١٩٧٥ بتعديل النظام الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي في ج. ع. ل. حسمت التردد بالحق لاسباب عدة :

الاول : ان في الوثيقة ما يغري اغراء شديدا بالتعليق والنقد .

الثاني : ان الوثيقة جاءت في هامش تقديم فكري يستحق ان يوضع على السفود .

الثالث: ان التقديم والوثيقة قد نشرا في مجلة الفكر القومي التقدمي فهما يخاطبان قراء الشورى الذين يكتب من اجلهم ابو ذر .

الرابع : ان ما جاء في التقديم والوثيقة كليهما يتصل بوحدة من اهم المشكلات التي يواجهها المناضلون عامة، والمناضلون العرب خاصة وهي مشكلة الممارسة الديمقراطية.

الوثيقة:

مما يستحق الانتباه في النظام الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي في ج. ع. ل ان عضويته مفتوحة لكل مواطن عربي من خارج ج. ع. ل (المادة الاولى) وان عضويته اجبارية لكل المواطنين في ج. ع. ل (المادة الثانية) وان الشعب مقسم فيه الى مؤتمرات شعبية اساسية وفقا للمكان (المادة الثانية) ولكن اختيار المؤتمر الشعبي لجنته القيادية مقيد بقيود منها الا يكون عضوا في مجلس الثورة او في قيادة الاتحادات او النقابات او الجمعيات واي روابط مهنية اخرى او احدى اللجان الشعبية لأن كل اولئك اعضاء في المؤتمر القومي (فقرة ب ١ و ٣ و ٤) بالاضافة الى قيادات لجان المؤتمرات الشعبية الاساسية (فقرة ب ٢) كما جاء في المادة الثانية . ثم قيد اخر جاء في الفقرة ٦ من المادة ٦ ونصها " تكون الاغلبية الساحقة في عضوية لجان المؤتمرات الشعبية والمؤتمر القومي للكادحين".

ثم يستحق الانتباه ان غاية التنظيم كما حددتها المادة الثالثة تضمنت :

- ١- ارساء دعائم نهائية لمجتمع ديمقراطي . وتعبير " نهائية " هو الذي يستحق الانتباه ..
- ٢- " حماية " الحرية و " اقامة " " الاشتراكية " و " الدعوة " الى الوحدة العربية . اقتصار غاية التنظيم على " الدعوة " فيما يختص بالوحدة هو الذي يستحق الانتباه .

بعد الانتباه يأتي التأمل وبعد التأمل يستطيع ابو ذر ان يقول :

اولا: يعجب كل قومي تقدمي ويسعده قبل كل شيء ما نص عليه النظام من ان غاية التنظيم فيما يتعلق بالوحدة هي الدعوة اليها. لا تحقيقها . انه نص علمي وواقعي معا . فورا لا شك وعي ملاءمة كل اداة لغايتها . ولما كان الاتحاد الاشتراكي العربي هو التنظيم للشعب في ج. ع. ل. فان تحميله مسؤولية غايات تتجاوز مقدراته كاداة لا يعني سوى ترشيحه للفشل . وبهذا يزول اول دتاقض بين التنظيم في اقليم وبين التنظيم القومي الذي هو اداة لا بد منها لتحقيق الوحدة . يستطيع الاول ان يدعو ويحضر فكريا ودعائيا للوحدة ويبقى الانجاز او التحقيق منوطا بالثاني . انهما غير متوازيين وغير متناقضين

فلا يعني تنظيم الشعب العربي في ج. ع. ل. في الاتحاد الاشتراكي العربي انه قد استغنى بتنظيمه عن المشاركة في التنظيم القومي عندما يقوم . ولقد كان ابوذر يتمنى لو ان النظام الذي صدر قد تضمن مادة اضافية تؤكد هذا المعنى كتلك المادة ٦٢ من دستور دولة الاتحاد التي نصت على التزام التنظيمات السياسية في الاقاليم تهيئة المناخ لاقامة الحركة العربية الواحدة بما يعنيه هذا من اعتبار ذاتها منظمات " مؤقتة " الى ان تقوم الحركة العربية الواحدة، ليستقر في وجدان الشعب العربي ان كل تنظيم له في ظل التجزئة وحدودها هو تنظيم " ضرورة " مؤقتة لا بد له من ان ينتهي عندما يستطيع الشعب العربي ان يطوع ظروفه لقيام تنظيمه القومي .

هذا يعجب كل قومي تقدمي ويسعده لولا فتح العضوية لكل " مواطن عربي " خارج ج. ع. ل. ان كل النوايا الطيبة التي املت هذا النص لن تغير شيئاً في عدم جدواه . ان فتح عضوية الاتحاد الاشتراكي العربي في ج. ع. ل. لا يعني شيئاً اذا لم يكن من اثاره الفورية المباشرة كسب الجنسية الليبية . وهذا يقتضي تغييراً شاملاً وجذرياً في التكوين الدستوري والقانوني لدولة ليبيا يجعل الانتماء اليها مباحاً لكل من يريد في الوطن العربي . بكل ما يعنيه هذا من حرية الدخول والخروج والاقامة والعمل وتولي المناصب والالتحاق بالقوات المسلحة والوصول الى الحكم نفسه. الا فان طلب عضوية الاتحاد الاشتراكي لن يكون الا وسيلة لزيارة ليبيا والاقامة فيها على حسابها ولو في فترات انعقاد المؤتمر القومي وهي غاية لا تغري الا الانتهازيين . ثم ان هذا النص يلقي ضباباً كثيفاً من اوهام التحول الى تنظيم قومي فيلغي اهم مميزات الاتحاد الاشتراكي العربي عندما يطرحه بديلاً محتملاً للتنظيم القومي .

ثانياً : النص على ان غاية التنظيم ارساء دعائم " نهائية " لمجتمع ديموقراطي نص غير قابل للفهم. فعندما نسلم بان التطور الاجتماعي في حركة مستمرة سواء كانت بطيئة او سريعة ، وبالتالي فان كل شيء متغير ولا يوجد شيء ثابت يكون من العسير فهم دلالة " نهائية " الدعائم لمجتمع ديموقراطي . انها مصادرة مسبقة على المستقبل وقيد في بداية التجربة على تصحيح ما تسفر عنه الممارسة من أخطاء واضفاء " قدسية " غريبة على الظواهر الاجتماعية تحول دون المساس بها فتجمدها بحجة انها دعائم " نهائية " . وهي قدسية ستصيب بالاحباط واليأس كل الذين قد يرون في المستقبل البعيد او القريب ، وعلى ضوء الممارسة، ان في دعائم الديمقراطية التي ظنوا انها نهائية ما يستحق التغيير . النهائي هو الدائم ولا دائم الا وجه الله .

ثالثاً: النص على ان تكون الغالبية الساحقة في عضوية لجان المؤتمرات الشعبية والمؤتمر القومي من الكادحين نص خطير. يرشحه ابوذر ليكون جرثومة الفشل التي ستصيب جسد التنظيم . لا لأن ابا ذر ضد الكادحين ولكن لان لكل فرد ولابي ذر ايضا مفهومه الخاص عن هاتين الكلمتين الغامضتين اللتين قدت حروفهما من " المطاط " .. كلمة " الاغلبية الساحقة " وكلمة " الكادحين " . كل منهما شرط للترشيح والاختيار لعضوية اللجان القيادية . فما هي الاغلبية الساحقة لتكون حدا للترشيح والاختيار؟.. يقول التقديم المصاحب للوثيقة : الاغلبية المطلقة هي ٥١% اما الاغلبية الساحقة فهي فوق ٦٠ و ٧٠ و ٨٠ و ٩٠% ويمكن أن تكون الاغلبية الساحقة ٩٩% ويقول ابوذر لكاتب التقديم : صدقني فالحق اقول . ما اثار الخلف واجج الصراع وقتك بالصفوف الا الالتقاء ابتداء على كلمات يخضع تحديدها للاهواء . طبقاً لرأيك تكون الاغلبية الساحقة فوق ٦٠% اما الاغلبية المطلقة فهي ٥١%. فما حكم التسعة في المائة التي تمثل الفرق بينهما؟.. ومن الذي سيحكم- في الممارسة- عما اذا كانت النسبة قد وصلت حد " السحق " ام لم تصل . ان واحداً في المائة، واحداً فقط ، سيكون معناه - في الممارسة- ان احداً يصعد الى اللجنة القيادية او احداً يحرم من الصعود فهل تحسب ان الذين يرشحون انفسهم للقيادة ويكون مصيرهم معلقاً على اختيار رقم تتحقق به النسبة الساحقة سيقبلون الرقم الذي تختاره انت ما بين ٥١% و ٩٩% ؟ ابداً.

ثم نأتي الى كلمة " الكادحين " .. من هم؟ وبأي مقياس يفرزون؟.. هل سيكون على كل اخ يريد ان يرشح نفسه للقيادة ان يحصل على " شهادة ادارية " بانه من الكادحين؟ واذا كان الكدح من الجهد المبذول المتعب فهل سيقبل اي واحد ان يقال له انك لا تبذل جهدا ولا تتعب في حياتك فانت غير كادح؟.. صدقني مرة اخرى فالحق اقول . سينتهي الامر بالممارسة الى " حل سلمي " يرتضيه كل مؤتمر شعبي هو اعتبار الشعب في ج . ع . ل . كله شعبا من الكادحين وبالتالي اسقاط هذه الشروط، ويتلوه ان تكون نسبة " الكادحين " في كل لجنة ١٠٠% والا فابحث عن مقياس اخر غير الكلمات التي ان تحددت مزقت الناس وان توحد الناس سقطت هي .

هذا يكفي تعليقا على الوثيقة لان العبرة بما وراء الوثيقة من افكار جاءت في التقديم المنشور معها في العدد الرابع من الشورى .

التقديم :

(١) يقول التقديم : " استهدف تعديل النظام الاساسي تاكيد الحق السياسي لكل مواطن وضرورة مشاركته الفعالة داخل التنظيم السياسي عن طريق تقسيم الشعب الى مؤتمرات شعبية اساسية وفقا للمكان ويسجل كل المواطنين اسماءهم لعضوية المؤتمر الشعبي الاساسي لمنطقتهم بحيث نجد في النهاية ان الشعب كله اصبح عضوا في مؤتمرات شعبية اساسية وكل مؤتمر شعبي عليه ان يختار لجنته القيادية ومن مجموع اللجان يتكون المؤتمر القومي الذي هو مؤتمر الشعب وبهذه الطريقة تصل قيادات المؤتمرات الشعبية التي اختارتها الجماهير الى اعلى مستوى للسلطة في الجمهورية العربية الليبية وهي اداة الحكم . وبهذه التجربة تسهم ثورة الفاتح من سبتمبر في ايجاد حل عملي لقضية الديمقراطية واداة الحكم التي تعتبر مشكلة المشاكل في العالم الحديث والتقديم ولم تحل بعد".

ان هذا التقديم متفائل الى حد المثالية. سنرى انه لم يحل مشكلة الديمقراطية بل زادها تعقيدا..

ان جوهر الفكرة التي تجسدت في النظام هي حق كل مواطن في ان يشارك في حكم دولته. وهذا نظام معروف منذ قرن طويلة . انه اول نظام للديموقراطية التي هي كتابة بالحروف العربية للكلمة اليونانية ومعناها حكم الشعب . وتعرف في الفكر السياسي بالديموقراطية المباشرة . وقد طبقت في الدول الاغريقية القديمة كاثينا ولم تثر اية مشكلات لان تلك الدول كانت مدنا تجمع كل المواطنين في مكان واحد من ناحية، ومن ناحية ثانية لان المواطنة لم تكن حقا عاما في مدن الاغريق بل كانت مقصورة على " الاحرار " من سكانها ولم يكن كل الاحرار ذوي مواطنة كاملة . افراد الاسرة من النساء والاولاد كانوا معتبرين ملكا لرب الاسرة . وهكذا انحصر حق الممارسة الديمقراطية في اقلية من سكان كل مدينة تسهل دعوتهم الى الاجتماع في مكان محدد منها فيسعون ويتسع لحوارهم حوارا مباشرا حول شؤون دولتهم " المدينة" ولم يكن هذا النظام يستوجب او يستلزم " الانابة " اي ان يمثل واحد من المواطنين عددا منهم ، ويحضر ويناقش ويقرر بالنيابة عنهم . فلما ان اتسعت الدول واصبح مستحيلا - عمليا- جمع كل المواطنين في مكان واحد، دخل التمثيل النيابي في الممارسة الديمقراطية . فلم يعد كل المواطنين يشاركون في حكم دولتهم بانفسهم بل يختارون من ينوب عنهم في تلك المشاركة . عندئذ انقسم الشعب افقيا الى شريحتين : شريحة تضم اغلبية المواطنين لا تشارك في اتخاذ القرارات الخاصة بالحكم وانما يقتصر دورها على اختيار الذين يحكمون فعلا . ثم شريحة تمثل الاقلية هي التي تحكم فعلا بعد ان يكون قد تم اختيارها. من هنا نشأت اولى مشكلات الممارسة الديمقراطية وهي مدى صدق التطابق بين ارادة الشريحة التي تحكم وارادة الشعب الذي اختارها.. ولم يزعم احد ابدا ان مجرد ان الحاكمين قد اختارهم الشعب يعني ان ارادتهم مطابقة او تطابق ما يريده الشعب ... وبالتالي لم يزعم احد ابدا ان الشعب، اعني كل المواطنين، يشاركون في حكم دولتهم فعلا في ظل التمثيل النيابي فاتجه الرأي في مراحل لاحقة الى فرض قيود ثابتة نسبيا على ارادة ممثلي الشعب لتلزمهم ماديا ومعنويا

بالتعبير عن ارادة الشعب . ومن تلك القيود تقسيم الحاكمين الى سلطات ثلاث . احدهما تضع القوانين ولا تنفذها (السلطة التشريعية) والثانية تنفذها وتسال عنها (السلطة التنفيذية) والثالثة تحكم فيما اذا كان التنفيذ صحيحا ام غير صحيح (السلطة القضائية) لتكون كل سلطة رقيب على الاخرى على افتراض ان القوانين التي تضعها السلطة التشريعية ستكون مطابقة لارادة الشعب . واقتصر التمثيل النيابي على اختيار الذين يضعون القوانين . ولكن المشكلة لم تحل . لان مجرد ان اعضاء السلطة التشريعية منتخبون من الشعب ويمثلونه لا يعني ان ارادتهم التي ستصبح قوانين ملزمة للشعب نفسه ستكون مطابقة لما يريده الشعب . فاضيف قيد جديد . ان يكون انتخاب الممثلين دورياً حتى يستشعر كل ممثل لجزء من الشعب انه في حاجة الى رضاه من انتخابه اذا اراد ان يعاد انتخابه . وهو نوع من الاكراه المعنوي الذي لا يجدي كثيراً . ومع ذلك فحتى لو كان مجدياً فان المشكلة لم تحل . لانه مع الاعتراف بالمساواة بين المواطنين يستبعد من الممارسة الديمقراطية غير البالغين من الرجال والنساء كما يستبعد المحجور عليهم والمرضى عقلياً والمسجونون والذين لم يرد اليهم اعتبارهم بعد ادانتهم في قضايا مخلة بالشرف ومن لا يريدون او لا يقدرّون على المساهمة الديمقراطية . فنرى الناخبين في كل مجتمع اقلية . يختارون بين المتنافسين على تمثيلهم ويفوز من ترضى عنه الاغلبية المطلقة (٥١%) فيجتمع الممثلون في مجالسهم التشريعية وتصبح الجلسات صحيحة اذا حضرتها الاغلبية المطلقة من الاعضاء (٥١%) ويتناقشون فإذا اختلفوا نفذت ارادة الاغلبية المطلقة من الحاضرين (٥١%) فأصبحت قانوناً . وهكذا نرى أن الذين يحكمون فعلاً - ديموقراطياً - هم أقلية اقلية الاقلية .. بالرغم من كل النصوص الدستورية والتنظيمية التي تقرر حق الممارسة الديمقراطية لكل المواطنين مادام المواطنون لا يستطيعون مادياً أن يجتمعوا في مكان واحد ليمارسوا الديمقراطية ممارسة مباشرة .

انها مشكلة لم يحلها نظام الاتحاد الاشتراكي العربي في ج . ع . ل . لانه- وهذا واقعي- قد اخذ بالتمثيل النيابي، وبالتالي فان احدا لا يمكن ان يزعم ان ارادة المؤتمر القومي مثلاً ستكون مطابقة لارادة الشعب لمجرد ان المؤتمرات الشعبية الاساسية هي التي اختارت اعضاءه بمجرد الاختيار تفصل الارادات.. هذا لا شك فيه.

وسنرى فيما بعد كيف يمكن ان تحل هذه المشكلة..

(٢) يقول التقديم ان تعديل النظام استهدف " تأكيد الحق السياسي لكل المواطنين " وهذا صحيح لأن عضويته مفتوحة لكل مواطن . ولكنه يضيف " وضرورة مشاركته الفعالة داخل التنظيم السياسي " . وهذا يتفق فعلاً مع باقى النصوص التي تنص على ان كل مواطن يسجل اسمه لعضوية المؤتمر الشعبي الاساسي لمنطقته . ولكن كل هذه افتراضات قد لا تتحقق . فليس ثمة اي ضمان بان كل المواطنين يرغبون في عضوية الاتحاد الاشتراكي او انهم سيسجلون اسماءهم لعضوية المؤتمرات الشعبية . فاذا لم يرغب بعض المواطنين - قلوا او كثروا- في التسجيل او لم يسجلوا بالرغم من رغبتهم لسبب او لآخر يسقط فرض اننا " نجد في النهاية ان الشعب كله اصبح عضواً في مؤتمرات شعبية اساسية " .. فاذا الزمت الدولة كل مواطن بان يكون عضواً بالاكراه- فرض غرامة مثلاً- فيسجل اسمه ولا يمارس . وجوهر النظام الاساسي كله لا يتفق مع الفكرة المثالية التي يستهدفها: رد امر ادارة الدولة الى الشعب كله . اذ لا يتفق مع هذا المنطلق الفكري ان يوضع للشعب نظام للممارسة لم يختره هو . ان كان يمكن لكل افراد اي شعب ان يتفقوا على اسلوب واحد للممارسة الديمقراطية . اين هذه الفكرة مما لو اختار الشعب نظاماً غير الاتحاد الاشتراكي العربي؟ واين هي مما لو اختار الشعب تنظيمًا داخلياً غير التنظيم الذي تضمنته المادة الثانية؟ .. واين هي مما لو اختار الشعب غايات غير الغايات التي تضمنتها المادة الثالثة... الى آخره.

(٣) ما فات يتصل بالشكل واهم منه ما يتصل بالمضمون . لقد عدت المادة الثالثة خمس عشرة غاية سياسية واقتصادية واجتماعية وخلقية من بينها اقامة الاشتراكية . واقترضت ان كل مواطن في ج . ع .

ل . يؤمن بتلك الغايات ويريدها وبالتالي الزمته ان يكون عضوا في الاتحاد الاشتراكي العربي للعمل على تحقيقها. فمن اين جاء هذا الافتراض؟ ان التنظيم كان امام خيار بين امرين لا يستطيع ان يجمع بينهما . فاما ان يرد امر اختيار الغايات الى الشعب ليختار ما يريد وبالتالي يخلو من بيان لتلك الغايات او ان يترك عضويته اختيارية لمن يريد ان يلتزم بتحقيق تلك الغايات . اما الزام الناس جميعا في أي مجتمع، غايات واحدة فانه يتجاهل اختلاف الناس في المصالح وفي الوعي وفي المقدرة . والناس مختلفون مصالح ووعيا ومقدرة سواء اعجبنا كل هذا ام لم يعجبنا . هل يمكن مثلا الزعم بأن كل مواطن من الشعب العربي في ليبيا يريد الاشتراكية او حتى يعرف ما هي الاشتراكية ؟ .. لو صح هذا فان الشعب العربي في ليبيا يعيش مرحلة من التقدم الفكري والاقتصادي لن تبلغها باقي المجتمعات الانسانية الا بعد قرون طويلة. وهذا غير واقعي . او لو صح ان الرأسماليين في ج . ع . ل . ملائكة يكتفون بالتنازل عن مصالحهم من اجل الاشتراكية بل يزيدون فيناضلون في الاتحاد الاشتراكي العربي من اجل الخير الاشتراكي .. وما ينطبق على الاشتراكية ينطبق على الوحدة .

هذا يكفي ايضا للتعليق على تقديم الوثيقة...

فكيف تحل مشكلة الديمقراطية.

لنسلم جدلا بما اقتبسه التقديم من اقوال الاخ العقيد معمر القذافي حين قال : " العالم الان اما ان يحكمه حزب او فرد او حاشية ملكية او طبقية او طبقة او طليعة او جماعة او صفوة ما هي الا ادوات ديكتاتورية التي لا زال العالم يعاني منها التي تمثل اداة الحكم في العالم الآن كله الا في ج.ع. ل . نريد ان نقيم هذه التجربة باذن الله وهو حل مشكلة الديمقراطية نهائيا في العالم ونحن نريد ان نطبقه على انفسنا اولا ، نخلق اداة سياسية لحكم المجتمع من المجتمع ذاته " .

اقول : لنسلم بان حلها الصحيح الكامل لمشكلة الديمقراطية هي ان يحكم الشعب نفسه بنفسه فلا يحكمه حزب او فرد او حاشية ملكية او طبقة او طليعة او جماعة او صفوة.. ان هذا الحل الصحيح لا يتحقق لمجرد انه الحل الصحيح . وانما يكون قابلا للتحقق عندما تتوافر للمجتمع الامكانيات الموضوعية والذاتية لتحقيقه.. من الامكانيات الموضوعية تحرر كل فرد تحررا نهائيا من التبعية الاقتصادية لأي فرد حتى لا يستطيع اي فرد ان يستغل تلك التبعية في التأثير في ارادة تابعه وحمله على اخفاء ما يريد حقا والتعبير عما يريد المتبوع او الخوف من ان يقول " لا " لاي انسان أو الاغراء بأن يقول " نعم " لاي انسان . وهذا لن يتحقق موضوعيا الا في ظل مرحلة متقدمة من النظام الاقتصادي يعمل فيه كل قادر على العمل الا العاجزين ويكون العمل هو المصدر الوحيد للدخل الفردي ثم يكفل المجتمع العاجزين على وجه الاستقرار . ومن الامكانيات الذاتية وصول كل فرد في المجتمع الى درجة من العلم والثقافة والمعرفة تمكنه من معرفة حقوقه والتمسك بها والدفاع عنها وبالتالي فرض ارادته دائما وفي كل وقت على ممثليه الذين اختارهم للتعبير عما يريد.

بدون هذه الامكانيات، ومهما كانت النصوص الدستورية والقانونية عامرة بحقوق الشعب والمساواة بين كل افراده والاشادة بالديموقراطية وادانة الديكتاتورية ، سيعبر كثيرون من ابناء الشعب، لا عما يريدون هم ، ولكن عما يرضى الذين يستمدون منهم ارزاقهم او ضمانات استمرارها. وفي المؤتمرات الشعبية- كما سنتثبت الممارسة- سيفوز بعضوية اللجان القيادية الاكثر مالا او جاها او اكبر مناصبا خاصة في المدن . وبدون هذه الامكانيات سيعبر كل واحد من الذين لا يقبلون التبعية عن ارادته كما كونتها درجة تعليمه وثقافته ومعرفته وقد يكون هذا كله مؤديا الى غاية مستحيلة التحقق موضوعيا او غاية ليست في مصلحته اجتماعيا. وفي المؤتمرات الشعبية - كما سنتثبت الممارسة- سيفوز بعضوية اللجان القيادية في الصحارى والقرى اكثر الناس مقدرة على خداع البسطاء من ابناء شعبنا العربي .

نقول هذا لأن شعبنا العربي في ليبيا ليس بدعة بين شعوب العالم الثالث او حتى العالمين الاول والثاني فان المشكلة ما تزال قائمة على مستوى العالم كله.

ما الحل اذن؟

توفير تلك الامكانات. وهذا يعني ان الحل الامثل لمشكلة الديمقراطية الذي استهدفه تقديم الوثيقة ليس قابلا للتحقق فورا ولكنه هدف بعيد يجب العمل على تحقيقه. اعني ان الديمقراطية التي تسمح للشعب فعلا بان يحكم نفسه فعلا هي غاية يجب النضال من اجل تحقيقها. غاية استراتيجية كما يقولون. وهنا يكمن الخطأ الاساسي في الطرح الديمقراطي الذي نشرته الشورى . انه الغاء مراحل التطور وزمانه والقفز مباشرة الى الهدف الاستراتيجي وتقديمه كغاية حالة لمجرد انها غاية سليمة وهذه مثالية .

ويختلف الامر كله عندما نبدأ بالواقع المتخلف ديموقراطيا، اي الذي لا تتوفر له الامكانيات الموضوعية والذاتية للممارسة الديمقراطية الصحيحة ثم تطوره بحيث تتحقق تلك الامكانات فتصبح الديمقراطية الصحيحة ممكنة التحقق وتتحقق . الشعب هو الذي سيحققها حينئذ. كيف يتم كل ذلك ؟ .. بالتحول الاشتراكي بأكبر معدل من السرعة لتوفير الامكانات الموضوعية. الغاء التبعية الاقتصادية للانسان وما نتجته من قهر اقتصادي . ثم بالتعليم والتنقيف والتوعية والتدريب المستمر على ممارسة الديمقراطية. وكل هذه لا تتحقق تلقائيا من ناحية ولا يحققها الشعب كله من ناحية اخرى بل تحققها طليعة اشتراكية ديموقراطية . ان الطليعة المنظمة المناضلة ضد القهر الاقتصادي والتخلف العلمي والثقافي التي تعيش مع الشعب وتوعيه " بالمشكلة الديمقراطية" وتقوده ضد كل انواع "الديكتاتورية" وتحكم لتسخر امكانات الدولة لتوفير الامكانات الموضوعية والذاتية لقيام الديمقراطية الشعبية هي وحدها التي يمكن ان تطور الواقع المتخلف الذي يسمح بالتسلط الديكتاتوري الى التقدم الاقتصادي والاجتماعي الذي يمكن الشعب من حكم نفسه بنفسه.

ولست افهم كيف تدان الاحزاب كافة كأن الاحزاب موحدة الغاية فتستوي الاحزاب الفاشستية مع الاحزاب الديمقراطية وتستوي الاحزاب الرأسمالية مع الاحزاب الاشتراكية وكيف يمكن ان ينسب الى حزب اشتراكي ديموقراطي بانه اداة للديكتاتورية ، الا اذا كان مجرد تولى السلطة ديكتاتورية بصرف النظر عن يتولاها ؟ ..

هل اطلت؟...

نعم فالموضوع مغر، ثم احسب ان هذا آخر لقاء بين قراء الشورى وبينني فأردت أن أقدم للجيل العربي الجديد رأيا في واحدة من اعنى المشكلات التي سيواجهونها عندما يضعون اقدامهم على الطريق الصحيح الى دولة الوحدة الاشتراكية الديمقراطية.

وخلاصة رأبي اننا لكي ننجح يجب ان نحتفظ باهدافنا ونناضل من اجلها الى ان تتحقق كاملة، وعلى مدى زمان نضالنا، لا ينبغي ان نحاول الا تحقيق الخطوة الممكنة في زمانها ومكانها طبقا لظروفها الموضوعية وظروفنا الذاتية...

حاشية

لم اشأ ان اعاتب الشورى على ان استبدلت بصفحة من "على السفود" المنشور في العدد الرابع صفحة من مقال "المعتزلة" الذي كتبه الاستاذ محمد عمارة ، صفحة ٦٩ التي جاءت في سياق مقاله ليست له بل لي . و صفحة ٩٦ التي جاءت في سياق تعليقي ليست لي بل له . وماذا يجدي العتب؟.

القاهرة في ٢٧ يوليو ١٩٧٥

١٥

نقطة على حروف الثورة :

١٩٤٧.. دق على الباب،
- علي . ولد يا علي . اصح .
- ابي . ما يزال الليل ليلا .
- اي ليل ياكلب يا ابن الكلب . قلت لك اصح . قم من جوارها لتدرك السوق . امامك مشوار طويل . لا بد من ان تأخذ اول "معدية" . قم يا ولد .
- طيب . طيب . دعني لحظة فقط .
- قم يا ولد . انا عارف . لا فائدة فيك ولا في جيلك الخرع ما دتمت قد تعلمتم في آخر الزمان النوم في احضان النساء . اتركه يا امراة .
وخرج علي الى ابيه . وعلي شاب كالرجال طولاً وعرضاً وبناء متينا . ثم انه قد زفت اليه زوجته منذ ثلاثة ايام .
- ابي حرام عليك . ما يزال الليل ليلا .
- نحن في الصبح يا اعمى .

فابتسم علي ابتسامة لم يرها والده الشيخ الضرير . وصحب اياه الى المسجد ليصلي عشرات من الركعات تعويضا لما فاته ايام الشباب قبل ان يصلي الفجر . وعاد به الى المنزل . طار النوم وعليه ان يدرك السوق . امس خاطط له عروسه عشرين جنيها داخل جيبه حتى لا يسرق منه ثمن البقرة . اولاد الحرام كثير في سوق المركز والبقرة هي الركن المكمل لبناء الاسرة . لا يكمل الزواج الا اذا دخلت مع العروس بقرة . وها هو نصف المهر يا علي و"النقطة" التي اهداها لك الناس يوم عرسك لتشتري بقرة فتصبح رجلا ورب بيت . وهذا ما كان والدك يستعجله . ان يراك رجلا رب بيت قبل ان تشرق شمس اليوم الرابع من زواجك . ولقد استعجل الحديث عن بقرتك امس فعرف الذين صاحبه في صلاة العشاء ان عليا سيشتري غدا بقرة .

ارتجف علي . ان على الطريق من يدرسون به لا شك في هذا . كثر في هذه السنين الكفرة قطاع الطريق . ولكن الجوع اشد كفرا يا علي ، استعن بابن عمك احمد ليؤمن طريقك الى السوق . واحمد "خفير نظامي" يحمل بندقية حكومية ويهابه الناس فلا يسرقون الا بقدر ما يرشونه . ثم ان احمد لا يقضي الليل في احضان امرأته . ان ابنه امين يشغل موقعه منذ بضع سنين . ولو اراد ان يشغله لما استطاع الا احتيالا . ولقد علمه احمد قبل زواجه كيف يحتال في الوصول الى زوجه عبر اجسام البنات والارامل اللاتي يملأن صحن الدار ، ثماني نسوة ورجلان وشيخ ضرير و غلام اعجف ممرض كالابله هو امين . تلك هي الاسرة التي اضيفت اليها بالامس عروس وتضاف اليها اليوم بقرة .

لا حول ولا قوة الا بالله .

خرب البيت .

قال قائل : كان الجدعان يعبران القنطرة فوق التربة الصغيرة عندما انطلقت الاعيرة النارية. سقطا في مياه التربة. سقط علي بثروته وسقط احمد وبنديته . وعندما تجمع اهل القرية وانتشلوا الجثتين كان علي واحمد ينقصان الحياة والثروة والبنديته. يكفر الجوعى حتى بحرمة الموتى فيسرقون الجثث . نسوة القرية كلهن يولولن في منازلهن فتجتمع اصواتهن في صدى واحد يرده الى القرية الجبل الذي تقوم علي سفوحه . اما النسوة اللواتي تغرفن من الطين وتضعن علي رؤوسهن ثم تدرن في حلقة تنشدن اغاني تقطر حزنا علي ايقاع ضرب خدودهن فمنهن قريبات علي واحمد . عروس علي غير مدربة. انها تقع كثيرا قبل ان تتم الدورة . غدا ستدربها المآسي ولن يكون علي آخر قتيل تندبه. وفي ظلال اشجار السنط يجلس الرجال صامتين وقد دفنوا رؤوسهم بين ارجلهم . ولا تسمع الا همسا .

لا حول ولا قوة الا بالله .

خرب البيت.

اما الشيخ الضرير فقد شل حين بلغه النبأ ولم يلبث ان مات. وتزوجت من النساء من تزوجت. والتحقت الصغيرات بخدمة موظفي الحكومة وانقلن معهم الى حيث لا يعرف احد كما فعلت من قبل مئات الفتيات. وغادر امين القرية الى حيث لا يعرف احد كما فعل من قبل مئات من الغلمان. من حين الى حين تتردد الشائعات ان بنت فلان اصبحت داعرا . ان ابن فلان اصبحت مجرما . لا احد يهتم فقد كان الموت جوعا او غدرا هو البديل على اي حال .

وفي ذات اصيل ،

كان جالسا على مقعده المريح يتأمل البحر ويراقب الشمس وهي تكاد تغيب عنه. ويتذكر. اين الامس من اليوم ، انقضت سنون طويلة منذ ان كان ورفاقه يتسابقون عرايا كما ولدتهم امهاتهم في الانزلاق على مجاري الطين يصطنعونها على سفح التربة. انه الآن يتأمل البحر على شاطئ قصر المنتزه. المنتزه!!

نعم المنتزه يا ابن القرية. يا صبار الطين . يا برص الجبل الاجرد . في المنتزه حيث كان يعيش فاروق الملك واهله يا ابن الفلاحين . يا لها من دورة رائعة . لم تذق في العشرين سنة الاولى من حياتك ماء صافيا غير مخلوط بالطين والجراثيم . وكان اهلك يعرفون اوصاف البحر من حجاج القرى الاخرى . ولكنك الان مزروع في حدائق قصر المنتزه منذ الصباح الباكر كأنك ورثته عن اهلك .. ترى من الذي ورثك اياه؟

حينما يغيب الضوء تحتضن الظلمة احلام الغرور .

من رحلة الحمار على الطريق المترب الى ملاهي قصر المنتزه طريق طويل . قطعته بعقلك . بسهرك . بجذك . باجتهدك . تعلمت فتفوقت فتخرجت فاصبحت من رواد المنتزه. لم يورثك احد شيئا. كسبت كل شيء فلا فضل لأحد عليك .

ويحجب ما بقي من اشعة الشمس عملاق من البشر يلبس ملابس العوم . تدس فتاة رشيقة يدها تحت ابطه. انه لا يراها الا كجسمين عابرين على صفحة ارجوانية.. ولكن الشاب يراه.. يتوقف.. يلتفت.. يترك فتاته.. يجثو على ركبتيه ليحتضن الكهل الجالس ويقبله قبلا حاره .

- من؟
- امين..
- امين من؟
- الا تعرفني؟

عرفه الان واحتضنه ونهض من مقعده فصاح زوجته... اصبح كل شيء واضحا بالرغم من غياب الشمس .

فهناك بعيدا عن القرية، جنوب القاهرة، انشئت قرية اخرى اسمها "عزبة الصعايدة" فيها اكثر من الف شاب وفتاة يلبسون ملابس الافندية ويقرأون الصحف ويتجادلون في السياسة ولا يسرقون ولا يقتلون بل ينتجون خلقا معدنيا في مصانع حلوان . ثم تحملهم سيارات فارهة دفعات دفعات كل صيف الى شواطئ الاسكندرية. وتنتثرهم كالجواهر على شواطئ قصر المنتزه وبينهم امين .

يا احلام الغرور !!..

كيف ورث امين بعد خراب بيتهم موقعا في قصر فاروق؟.

حوار وعتاب:

قال ابو ذر لمحدثه : ما بالك تلقى سؤالك ثائرا كأنك تريد القتال وقد كنت تحكي هادئا قصة كأحلام الحالمين . قال : لانها كانت حلما واصبحت علما وانا مغيط . قلت : وهل يغيطك ان يقفز ابناء الفلاحين من الظلمة الى النور. من المذلة الى الكبرياء. من الجهل الى العلم . من القرى الى المدن. من الاختلاس الى الانتاج . من المزارع الى المصانع . من ملاعب الطين الى ملاهي المنتزه . ما هكذا عرفتك . قال : بل يغيطني الذين ينتهكون قيمة التقدم الانساني فيحولونه الى كلمات فارغة . قلت: مثل ؟ قال : مثل ذلك " الكلمنجي " الذي اسمه الدكتور فؤاد زكريا .. ثم انفعل انفعالا لا يتفق مع كهولته. وقال : هل تعرف يا سيد ابو ذر ماذا اتمنى الان؟ قلت : قل.. قال : وقد اعتدل وتوثب- اتمنى ان اوصل على الدكتور فؤاد زكريا ابواب دار الكتب ثم اقول له : اذا صح ما كتبتة من ان عبد الناصر قد سحق روح الانسان المصري ، فهناك كل كلمات الارض بكل اللغات ، اقرأها او كلها او اضمها ، ولكنك لن تخرج من هنا الا اذا اجبت على هذا السؤال : كيف ورث امين بعد خراب بيتهم موقعا في قصر فاروق ؟ قلت اعزيه . هون عليك . فها هو العدد الخامس من مجلة "الشورى" فيه مقال يرد به الصديق محمد عودة على ما قال فؤاد زكريا. ولا شك في انه سبقك الى السؤال والجواب فدعنا نقرأ ما كتب ليكون لك فيما كتب عزاء يهدى من روعك فلا تفسد علينا جلستنا..

وقرأنا معا صفحات وصفحات تحت عنوان " ناصريون وماركسيون " .. حتى اذا انتهينا ابتسم صاحبي شامتا وانصرفت انا غاضبا لاكتب هذا التعليق العاتب في سياق ظروفه من قصة وحوار.

جوهر القضية:

بعد، تجريد كل ما كتبه الدكتور فؤاد زكريا من عناصر الاحتيال اللفظي وضباب الكلمات الكبيرة نجد انه طرح قضية ذات وجهين : الوجه الاول : ادانة ثورة ٢٣ يوليو بالبطش الذي سحق روح الانسان المصري . الوجه الثاني : فشل ثورة ٢٣ يوليو في تحقيق تقدم للانسان المصري . هذه القضية بصيغتها هذه لا تمكن مناقشتها او معرفة ما فيها من صدق او كذب . حيث يعني الصدق التعبير عن الواقع

وحيث الكذب مخالفة الواقع . ذلك لان هذا الذي سماه فؤاد زكريا "الانسان المصري " لا وجود له في مصر. انه كلمة، " مجرد كلمة"، وهي كلمة فارغة ايضا. فلو سحبنا الدكتور فؤاد زكريا من يده ، بدلا من لسانه، والقيناه في زحمة الناس في شوارع القاهرة او في مزارع الوادي وقلنا له : هيا، يا دكتور، دلنا على " الانسان المصري " الذي تحدثت عنه وقلت انه ضحية الثورة ، فأشار الى اي مصري ، لما وجدناه انسانا مصرياً مجردا . لما وجدناه كلمة . سنجده طفلاً او امرأة او رجلا . سنجده صحيحا او مريضا ، سنجده فقيرا او غنيا . سنجده جاهلا او متعلما. سنجده مستغلا او ضحية للاستغلال . سنجده قاهرا او مقهورا . سنجده وطنيا او عميلاً .. وهكذا . وعندئذ يكون متعينا على الدكتور فؤاد زكريا ان يخرج من مخبئه اللفظي وراء الكلمات الكبيرة ليحدد لنا على وجه التعيين من هم ، من كل هؤلاء الناس ، الذين بطشت بهم الثورة وسحقت روحهم . ولن يثور حينئذ أي نقاش . فقد بطشت الثورة وسحقت واستولت على اموال بعض الناس وخربت بيوتهم وشردتهم وطردتهم وسجنتهم.. الخ . هذا لاشك فيه. وسنصم باصابعنا جميعا على قائمة الذين بطشت بهم الثورة بدون رحمة . لا لاننا نسلم بالاعداد التي سيذكرها فؤاد زكريا في قائمته ولكن لنحمله رغم انفه على ان يدفن كلمته الكبيرة الفارغة، " الانسان المصري " ويأخذ موقفا محددًا مع او ضد من يريد من الناس في مصر . ويكون عليه حينئذ ان يجيب على السؤال الاساسي : لماذا بطشت الثورة بهؤلاء على وجه التحديد؟ أي يكون عليه ان يواجه - رغم انفه- جوهر القضية التي يتحدث عنها . لينتقل الهجوم او الدفاع من ساحات الكلمات الكبيرة الفارغة الى واقع الحياة بمفرداته العينية. ولنعرف على الاقل الاجابة على سؤال صاحبنا القصصي : كيف ورث امين بعد خراب بيتهم موقعا في قصر فاروق ؟

هل كان ممكنا ان يكون قصر المنتزه لفاروق وامين كليهما.. مستحيل . لان فاروق ما كان يقبل في قصره امثال امين . لكي يدخل امين ابن الفلاحين كان لا بد- اذن- ان يخرج فاروق ابن الملوك . هذه هي القضية . بطشت الثورة؟؟.. نعم . ولكن السؤال هو : بمن بطشت ولمن بطشت ؟ الجواب هنا لا تكفي فيه الكلمات . الارقام اكثر دقة. ارقام البشر اولا لنعرف هل بطشت بالاقالية لمصلحة الاغلبية ام العكس . ارقام ساعات العمل لنعرف هل بطشت بالبطالة من اجل العمل ام العكس. ارقام الدخل الفردي لنعرف هل بطشت بالمترفين من اجل الجوعى ام العكس . ارقام الدخل القومي لنعرف هل بطشت بالمستغلين من اجل المنتجين ام العكس . ارقام ضحايا معارك التحرير لنعرف هل بطشت بالخونة من اجل الوطنيين ام العكس .. وهكذا . ان الرد الحاسم على فؤاد زكريا لا يمكن ان يكون قائما الا على جداول احصائية تمثل بارقام يقينية الدلالة الواقع الذي يتحدث عنه بكلمات مبهمة، هذه الارقام هي التي ستبين بوضوح لا تجدى فيه المغالطة من هو " الانسان المصري " الذي انتصرت له ثورة ٢٣ يوليو ومن هو "الانسان المصري " الذي يدافع عنه فؤاد زكريا. وسيبين بياننا ساطعا انهما انسانان مختلفان متناقضان متعاديان . احدهما " انسان فؤاد زكريا"، الليبرالي المنافق ، الاقطاعي الرأسمالي المستغل ، العميل ، الذي ما كان قادرا ان يعيش وما كان يريد ان يعيش الا سلبا لعناصر حياة " انسان عبد الناصر " الفلاح ، العامل، الامي، المريض ، الفقير ، المقهور، الذي قامت الثورة من اجل تحريره . تحريره ممن؟.. ليس من "انسان مصري " اخر مجرد . ليس من كلمة يكتبها المثقفون . بل تحريره من اعدائه الذين قهروه المعنيين بالاسم وبملكية ادوات القهر واستعمالها . وان تلك لمشكلة واقعية كان يعرفها بكل اطرافها. ان اغلب الذين سجنتهم قيادة الثورة او طردتهم او عزلتهم او استولت على ما كانوا يملكون، يعرفون معرفة اليقين، كما يعرف فؤاد زكريا بيقين انهم كانوا ضحايا عجزهم عن سجن قيادة الثورة او طردها او عزلها او الاستيلاء على مصر كلها لتكون لهم ملكية خاصة " ولقد صارعتهم الثورة وصارعوها. واعد كل طرف ما استطاع من قوة . وفي الصراع قد تبلغ القسوة حدا يتجاوز ما يلزم . ويحدث هذا من الطرفين او الاطراف المتصارعة. ولكن هذا التجاوز لن يكون- ابدًا- دليلا على عدم شرعية الصراع ذاته .

فما الذي يشكو منه فؤاد زكريا وامثاله ؟

ضراوة الصراع الاجتماعي؟..

اذن : من المسؤول عن ضراوته؟.. المستغلون ام ضحايا الاستغلال .. القاهرون ام المقهورون؟ الذين يملكون كل شيء ام الذين لا يملكون شيئا؟.. الوطنيون ام العملاء والخونة؟ يا لنفاق المثقفين وفراغ كلماتهم الكبيرة. يستنكرون الاعداء حكما ولا يستنكرون الموت جوعا . يبيكون من اجل فراغ الصحافة من الكلمات ولا يهتمهم فراغ الصحاف من المأكولات . ينكرون منع رحلات المتعة الى اوروبا ولا ينكرون شقاء عمال التراحيل في سبيل لقمة العيش الاسود . ويحولون الحياة نفسها الى كلمات فارغة.

ويحسب ابوزر، الذي عاصر المرحلة، ان لو ترجمت الكلمات الكبيرة الى وقائعها العينية لانتهدت الى خطأ اساسي وقعت فيه الثورة . وهو خطأ له اسباب تاريخية . ان ثورة ٢٣ يوليو لم تكن حاسمة، لا على المستوى العقائدي ولا على المستوى التطبيقي، في موقفها من " اعداء الشعب " . فلم يكن بطشها بهم حاسما ونهائيا . وأية هذا انه ما ان غاب قائد الثورة حتى حضر اعداؤها اكثر مالا ومقدرة وضراوة كأن لم يبطش بهم من قبل . وادى عدم الحسم الى التجاوز .. فمن ناحية تجاوز البطش اعداء الشعب فأصاب من لا يستحقه . ومن ناحية اخرى قصر عنهم فافلت منه كثير يستحقونه.

اما شرعية البطش الثوري باعداء التقدم فلا ينكرها الا المنافقون .

اما انت، ايها الصديق ، محدد عودة، فاليك من ابي ذر عتابا مرا . فلست ادري كيف فقدت وعيك وانت صاحب " الوعي المفقود " . كيف تقبل استدراج فؤاد زكريا فتخوض معه معركة الكلمات وتحول قضية " الانسان المصري " الذي ثار من اجله جمال عبد الناصر الى قضية تلك الشريحة الغربية من المثقفين التي تأكل كلاما وتريد ان تطعم الناس كلاما فتستنفذ طاقتك وصفحات الشورى في الحديث عن العلاقة اتفاقا او اختلافا بين الناصرية والماركسية؟.. انك - كما اعرفك- لست مترفا في حياتك فكيف انت مترف في كلامك . ان الاختلاف او الاتفاق بين ما تسميه ناصرية وما تسميه ماركسية، على المستوى المجرد الذي طرحته، لا يهم احدا الا انت وفؤاد زكريا وبضعة الاف من مثقفي مصر . اما الذي يهم الناس في مصر العربية- يا اخ محمد - فهو ما انجزته الثورة ومصيره: الاصلاح الزراعي . التصنيع . القطاع العام . التخطيط الاقتصادي . المدارس . الجامعات . المستشفيات . الوحدات الصحية في القرى بالإضافة الى معركة الوطن من اجل التحرير . من هذه المنجزات العينية كان عليك ان تغترف ما ترد به على فؤاد زكريا .. لأن فؤاد زكريا يقول ان عبد الناصر قد سحق روح الانسان المصري . ولست احسبك تصدق ان " الانسان المصري " هم جماعة الليبراليين المنافقين ، اصحاب الكلمات الكبيرة المجردة من مضامين عينية من حياة الناس .

عدد الكلمات:

لم تكن الجولة الكلامية التي خاضها محمد عودة على صفحات العدد الخامس باستثناء مما كتبه الكاتبون فيه. انه بحق " عدد الكلمات " . اعني الكلمات الكبيرة التي يتوه القارئ في ضجيج الفاظها الضخمة فلا يهتدي الى دلالتها العينية.

تأملوا مثلا مقالة رئيس التحرير تحت عنوان " فلسطين بين المسؤولية القومية والحلول القطرية " قال:

" تحققت الثورة العربية على امتداد ساحة الوطن العربي فحركت الطاقات الفعالة في الجماهير فأصبحت الثورة جماهيرية المنطلق ، جماهيرية الاداة ، جماهيرية الغاية.. وحققت الثورة العربية - من عمق تعاملها مع الجماهير- زخما ثوريا فرض من خلال الجماهير البعد القومي بكل مسؤولياته تجاه القضايا المصرية في الوطن العربي " .

يا جمعة يا مهدي يا فزاني ،

هل تحقق كل هذا ؟

يا رجل . حرام عليك . كيف بقيت اذن اعلام الصهاينة مرفوعة على الارض العربية؟

وتأملوا- مثلا اخر- ما قاله الدكتور احمد صدقي الدجاني تحت عنوان " الوحدة العربية وقضية التحرر " قال : " لن نكون منصفين لو اننا - غفلنا او تغافلنا عن ذكر حقيقة .. تبرز بقوة.. نراها ساطعة كالشمس تشع نورا وتوحي معاني عظيمة وتطرح قيما سامية . تلك هي حقيقة وجود ثورة عارمة في الوطن العربي تناضل من اجل وحدته وإزالة الحدود والسدود بين اجزائه وتناضل من اجل بناء مجتمع الكفاية والعدل فيه لتظلله الشورى والديمقراطية هذه الثورة كما نراها وتحيط بها النظرية الشاملة ويتعمق فهمها بادراك حركة التاريخ هي ثورتنا العربية الواحدة ... "

يا دكتور،

هل توجد - حقا- ثورة عربية واحدة في الوطن العربي؟.. كيف اذن مايزال كثيرون- انت منهم- يناضلون بأساليب شتى، وبدون نجاح كبير، من اجل ايجاد اداة الثورة العربية، التنظيم القومي، او الحركة العربية الواحدة، او " الطليعة العربية " او سمها ما شئت؟. هل توجد الثورة العربية الواحدة قبل وجود الاداة الواحدة للثورة العربية؟ ..

الاجابة تتوقف على مدلول الكلمات.

ما معنى الثورة؟

ما معنى عربية ؟

ما معنى جماهيرية؟.. الخ .

ما الثورة ؟ :

يقول الدكتور عصمت سيف الدولة في كتابه " نظرية الثورة العربية " (صفحة ٦٣٥) ويؤيده ابو ذر تأييداً تاماً :

" ثمة مبررات في الوطن العربي تقتضي تحديد مفهوم الثورة تحديدا علميا دقيقا. من هذه المبررات شيوع استعمال المعنى " المجازي " للثورة حيث تعني ضخامة الجهد أو ضخامة الاثر، ولقد ادى هذا الشيوع الى ان اصبحت الثورة تطلق على اداء الواجبات اليومية ولا تزيد عن هذا الا قليلا . ومنها اساءة استعمال كلمة الثورة لتغطية اعمال لا تمت الى الثورة بصلة. ومنها غموض المضامين التي تنسب الى الثورة . فالثورة التي هي تغيير جذري في المجتمع تجرنا الى السؤال عما هو الجذري . والجذري الذي هو اساس يحتاج الى معرفة ما هو الاساسي .. وهكذا. كل هذا يفتح الباب واسعا لادعاء الثورية والتضليل باسم الثورة .

" لهذا ينبغي ان تكون الثورة بمعناها الحقيقي معروفة لنا حتى لا نضل او نضل . والمعنى الحقيقي للثورة هو تغيير النظام في المجتمع على وجه يحقق ارادة الشعب ، او اقله ، من غير الطريق الذي يرسمه النظام القانوني السائد فيه . ذلك لانه في اي مجتمع مضامين اقتصادية واجتماعية وسياسية ، تكون معا مضمون علاقات الناس انفسهم . وفي كل مجتمع تصاغ علاقات الناس حول هذه المضامين في عديد من القواعد والقوانين العادية والدستورية تكون معا النظام القانوني للمجتمع وكل نظام قانوني يتضمن طريقة قانونية ايضا ، او مشروعة كما يقولون ، لتعديله او تغييره- ويفرض - في الوقت ذاته- جزءا رادعا على محاولة تغيير العلاقات التي يحميها من غير الطريق الذي رسمه ، وينشئ ادوات الردع اللازمة لتنفيذ احكامه.

" ولما كان النظام القانوني في اي مجتمع نظاما عاما بمعنى انه للجميع ويخضع له الجميع طبقا للشروط التي يتضمنها، فان مشروعيته قائمة على فرض ان المضامين والعلاقات التي صاغها فحماها تتفق مع ما تريده الجماهير التي تعيش في ظلها او اغلبها .

" الا انه يحدث ان يكون هذا الفرض غير صحيح . اما لأنه نظام قانوني مفروض على ارادة الجماهير منذ مولده كتلك النظم التي يفرضها الاستعمار على الشعوب التي يستعمرها ، فيرسم لها حدودها، ويضع لها دساتيرها، ويعين لها سلطاتها ويسن لها قوانينها ، ليوفر الحماية لمصالحه تحت ستار الشرعية ، واما لان المضامين الاجتماعية قد تجاوزت عن طريق النمو والتطور اطارها القانوني الثابت نسبيا ، فتصبح مصالح الشعب او اقليته ، مجردة من الحماية القانونية ، وخارج اطار الصيغة التي يمثلها النظام القانوني القائم .

" عندما يسقط افتراض حماية النظام القانوني لمصالح الجماهير التي تكون الاغلبية، يتجرد من الشرعية ويبقى عدوانا على الشعب مصوغا في شكل قانوني ، ويصبح تغييره مشروعا. هنا ينقسم الناس عادة الى قسمين ، قلة رجعية لا يزال النظام القانوني المتخلف يوفر الحماية لمصالحها فتقف ضد اي تغيير فيه . وكثرة تقدمية تريد ان تغيره على وجه يكفل حماية مصالح اغلبية الشعب . ثم يفترق التقدميون انفسهم حول اسلوب التغيير : فمنهم الاصلاحيون الذين يرون ان يلتمسوا التغيير عن طريق ذات الاسلوب الذي رسمه النظام القانوني الذي يريدون تغييره، يعدلون لائحة هنا، ويضيفون نصا الى قانون هناك ، ليلائموا بين النظام القانوني ومصالح الجماهير وتلك وسيلة ناجحة عندما تكون الجماهير قادرة فعلا على تغيير النظام القانوني ، اي في ظل الديمقراطية، عندما تكون القوانين من صنع الشعب خاضعة في وجودها والغائها لارادة الشعب فعلا. ولكنها وسيلة فاشلة تماما عندما يكون النظام القانوني ذاته قد جرد الجماهير، اقتصاديا او سياسيا او اجتماعيا من المقدرة على تغييره.

" هنا تكون قد توافرت الظروف الموضوعية للثورة.

" وهنا تكون محاولة التزام احكام النظام القانوني السائد لتحقيق غايات الجماهير التزاما مثاليا عقيما، ولا تبقى الا الثورة اسلوبا يلتزمه التقدميون الذين يسمون عندئذ " ثوريين " . وتكون مهمتهم توعية الجماهير المقهورة وتنظيمها وقيادتها لاسقاط اسس النظام القانوني المتخلف واعادة صياغته طبقا لمصلحة الجماهير ذاتها . اي تمكين الجماهير ذاتها عن طريق النضال الجماعي المنظم من استرداد مقدرتها على التغيير، وتحقيق غايتها، خارج اطار الاصلاح القانوني .

" لهذا فان الثورة ليست رغبة جامحة، ولكنها حل حتمي لمشكلة موضوعية خلقها النظام القانوني القائم . فحيث تسلب الجماهير المقدرة على تحقيق ارادتها ديموقراطيا، لا يكون امامها الا طريق الثورة. ولهذا حق ما يقال من ان الثورة تعني دائما انها شعبية وتقدمية. وتخرج بذلك من عداد- الثورات الانقلابات التي يلجا اليها البعض لمجرد الوصول الى السلطة ولو عن طريق العنف . انها مجرد مخالفات دستورية

ولو كانت عنيفة . كما تخرج اعمال العنف التي تلجأ اليها الرجعية ضد الثوريين للبقاء على النظم غير المشروعة ، وهذا ما يسمى عادة " الثورة المضادة " . انه ارهاب .

" ومن المهم ان نلفظ هنا الى ان العنف ليس شرطا للثورة . وان وقع فليس الثوريون مسؤولين عنه . ان العنف الذي قد يلجأ اليه الثوار اجراء مشروع لتجريد اعداء الثورة من المقدرة العنيفة على تثبيت نظام قانوني يجب ان يسقط لمصلحة الجماهير . ولما كان ذلك النظام القانوني ذاته يبيح العنف ضد الذين يحاولون اسقاطه ، فانه اعتداء ، قائم ، والرد عليه بمثل اسلوبه العنيف دفاع مشروع .

" تلك هي الثورة .

" بمجرد التزام المنطلق القومي التقدمي ، وطبقا لهذا المفهوم المحدد للثورة ، يتضح ان الثورة هي الطريق الوحيد الى دولة الوحدة الديمقراطية الاشتراكية .

" ذلك لان الوجود الموضوعي للامة العربية كمجتمع قومي واحد يعني ان مقياس الضرورة الثورية هو مدى ما يبيحه النظام القانوني في الوطن العربي ككل من سبل ديموقراطية لتحقيق ارادة الجماهير العربية ككل . فقد قلنا ان الثورة هي البديل الحتمي عندما تسلب الجماهير مقدرتها على التغيير ديموقراطيا .

" والواقع من النظام القانوني في الوطن العربي انه مجموعة عديدة من الدساتير والقوانين- حيث توجد دساتير وقوانين- تجزيء الوطن الواحد الى دول عدة ، وتجسد هذه التجزئة وتحميها . وهي لا تحميها بقوة الاقناع بل بالزجر الرادع من أول القتل شنقا الى النفي خارج الحدود . ومع ان بعض دساتير الدول العربية تنص على ان شعوبها اجزاء من الامة العربية فليس في اي دستور في اية دولة عربية نص على وحدة الوطن العربي ، او نص لا يعتبر الارض العربية خارج حدود الدولة ارضا اجنبية ، او نص لا يعتبر العرب الوافدين الى الدولة اجانب قادمين اليها او مقيمين فيها عرضا الى ان يعودوا الى " اوطانهم الاصلية " .

ما معنى عربية؟

هذا المعنى الاصيل للثورة لا يكفي- بمفرده- لوصف اية ثورة في الوطن العربي بانها ثورة عربية . فالثورة قد تكون اقليمية اذا ما توافرت شروطها وقامت في قطر عربي من اجل تغيير الواقع الاجتماعي فيه . والثورة الاقليمية لا تكون ثورة عربية لمجرد ان تحدد لها اهدافا تتجاوز حدود اقليمها كأن تعلن مثلا ان غايتها الوحدة العربية انها حينئذ ثورة عربية " بالنية " وليست بالفعل . انما تكون الثورة عربية، ولو بدأت في اقليم، اذا لم يكن الاقليم الا منطلقا لها او احدى ساحاتها، أي الا اذا كانت هي في ذاتها محررة من الاقليمية ، محررة من الاقليمية المنطلقات بان تكون قومية المعتقد . محررة من اقليمية الغايات بأن تكون وحدوية الهدف . ثم - وهذا هو الفيصل- محررة من اقليمية الاداة . بأن يكون تنظيمها الثورة واداة تحقيق غايتها الوحيدة قومية في تكوينه البشري ونظامه الداخلي واستراتيجته الحركية ووحدة قيادته . انها خصائص الحركة العربية الواحدة التي يتوقف على وجودها امكان وجود ثورة عربية . اما استعمال " الثورة العربية " تعبيرا عن مجموعة من الثورات او الانقلابات القطرية لمجرد انها حدثت على الارض العربية ، الثورات او الانقلابات في اقطارها لمجرد انها تغير الواقع واستعمالها تعبيرا عن الانجازات التي تحدثها أي من تلك في كل قطر على حدة ، واستعمالها تعبيرا عن النشاطات الثورية او السلمية التي تعبر عن اهداف الثورة العربية المرتقبة كما لو كانت واقعا قد تحقق مع ان اداتها لم تتحقق بعد، واستعمالها للتعبير عن امال الجماهير العربية التي تفنقذ المقدرة على التحقق

ثوريا لانها تفتقد التنظيم القومي الذي يقودها في طريق الثورة ، فكلها استعمال لكلمة كبيرة استعمالا مجازيا لا يمثل شيئا عينيا في الواقع.

هل ثمة ضرر في هذا الاستعمال؟

نعم . ضرر يستحق تدخل ابي ذر لينذر وهو يعلق على مقالين كتبهما كاتبان يستمع اليهما ويتأثر بهما الجيل العربي الجديد من الشباب العربي . وهو ضرر ذو وجوه عدة . اولها الا ينتبه الشباب العربي من الجيل الجديد الى التزامه التاريخي بأن يبني اداة الثورة ويشعل الثورة العربية . اذ لو كانت الثورة العربية متحققة لما كان ملتزما بالاعداد لها واشعالها . ثانيها: ان ينسب كل القهر والتردي الذي تعانيه الجماهير العربية الى الثورة العربية . اذ انها لو كانت متحققة ثم تقهر الجماهير وتردى في ظلها لكانت ثورة فاشلة . ثالثها : ان يحجب عن وعي الجيل الجديد من الشباب العربي الهدف الاساسي للثورة العربية وهو تحطيم وسحق التجزئة الاقليمية. اذ لو كانت متحققة في ظل التجزئة لما كان ثمة تناقض بين الثورة العربية والتجزئة الاقليمية. رابعها ان تمد في عمر الاوهام التي سادت دهرا وهي امكان قيام ثورة عربية باداة او ادوات اقليمية. اذ لو كانت متحققة بدون ان يكون التنظيم القومي لما كان التنظيم القومي لازما للثورة العربية ... الخ .

لا يمكن ان يغيب اي من هذه المعاني عن فطنة رئيس التحرير او الدكتور الدجاني ، وانما هما يكتبان عن الثورة العربية وفي ذهنيهما تكلمة محجوبة لم تكتب . اعني ان ما كتبه انما هو جزء "بسيط" مما يعيانه . ولو كتبا كل ما يعيانه لسدا ثغرات المخاطر فيما كتب . ولكن الخطأ هنا هو ان الفكرة المكتوبة تنتقل الى القارئ مستقلة عن وعي كاتبها. ومن هنا فلا ينبغي للكاتب ان يفترض ان القارئ يعرف كل ما يعرف او يفكر كما يفكر . فعليه، اذن ، ان استعمل كلمة " الثورة العربية " استعمالا مجازيا الا يبخل على القارئ بجملة يضيفها ويقول فيها " انني اعني بالثورة هنا كذا " او " اعني بأنها عربية انها كيت " .. ذلك لانكم- ايها السادة- لا تخاطبون انفسكم بما تكتبوه بل تخاطبون الجيل الجديد من الشباب العربي . وهي مسؤولية تستحق الحذر.

الوضعية المنطقية :

يقول الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه " نحو فلسفة علمية " :

" انها لنكبة ثقافية كبرى تصاب بها الامة اذا سادت بين قادة الرأي فيها عادة التفكير على المنهج الارسطي الذي اسلفناه (المنطق الصوري) . لانهم عندئذ سيغوصون في بحر من الثقافة اللفظية الفارغة. انهم سيتمسكون بكل ما في اوراقهم ودفاترهم ومجلداتهم من الفاظ ثم يصبح مجهودهم الفكري بعد ذلك هو ان يشرحوا هذه الالفاظ ثم يشرحون الشروح ثم يضعون لهذه الشروح هوامش شارحة يعلقون عليها بمجلدات في اثر مجلدات مع ان الالفاظ الاولى التي بنوا عليها هذا البناء الهش كله قد تكون زائفة بغير معنى .. "

يقول ابودر: كأن نبني افكارنا مثلا على اساس ان " الثورة العربية " متحققة . ما علينا . انما نريد بهذا التعليق على " عدد الكلمات " من الشورى ان نقدم الى الجيل الجديد من الشباب العربي فكرة مختصرة عن مشكلة التضليل اللفظي ومخاطر الكلمات الكبيرة المبهمة على حياة البشر. ليعرفوا اولا انها مشكلة غير مقصورة على كتاب الشورى ولا على العالم العربي بل هي في القمة من ازمة الفكر الانساني مما حدا بجماعة كثيفة العدد من الفلاسفة والمفكرين في انحاء العالم جميعا الى الالتقاء في مدرسة فلسفية حديثة- نسبيا- تحاول ابداع ضوابط محددة لاستعمال المفردات اللغوية لانقاذ الفكر الانساني من تضليل

الالفاظ . ولقد انتهت جهودهم الى فلسفة تكسب كل يوم مزيدا من الاعتراف ويصيبها في كل يوم مزيد من التطور اسمها " الوضعية المنطقية " .

عميد هذه المدرسة في الوطن العربي هو الدكتور زكي نجيب محمود ، الاستاذ السابق للفلسفة في جامعة القاهرة، والفيلسوف المؤلف الكاتب الاديب المرموق .

نشأت " الوضعية المنطقية " في جامعة فيينا (النمسا) على اثر تولي مورتس شليك منصب استاذية الفلسفة فيها. ولم يكن شليك فيلسوفا في الاصل بل كان عالما للطبيعة حصل على الدكتوراه في موضوع " انعكاس الضوء على وسط غير متجانس " وكان استاذة عالم الطبيعة الكبير بلانك، التفت حوله جماعة من رجال الفكر العلمي الذين يميلون الى الاتجاه الفلسفي في طريقة تفكيرهم. واصدروا في ١٩٣٠ مجلة فلسفية ثم امتدت افكارهم الى كثير من بلاد العالم وجامعاتها وخاصة انكلترا والولايات المتحدة الاميركية .

اساس " الوضعية المنطقية " هو المنهج التجريبي الذي قال به لوك وهيوم ومؤداه ان الادراك الحسي هو السبيل الوحيد للمعرفة العلمية . فأى شيء لا يخضع للتجربة الحسية ولا تدركه الحواس هو ببساطة غير موجود . على هذا الاساس اقامت مدرسة فيينا فلسفتها على محور البحث في دلالة اللغة وتركيبها . " بحيث يكون المعنى الوحيد في تحديد معنى كلمة معينة هو الشيء الذي جاءت الكلمة لتسميه " . على ان الشيء الذي نريد الاشارة اليه باللغة قد لا يكون كائنا واحدا فردا بحيث تكفي كلمة واحدة او اسم واحد للدلالة عليه، بل قد يكون واقعة مركبة من طرفين او اكثر تربطهما علاقة معينة فعندئذ تكون الاداة اللغوية في تصوير هذه الواقعة جملة، او ان شئت فقل " قضية " باصطلاح المنطق، وها هنا يكون حكمنا بالصواب او بالخطأ على " القضية " مرتكزا على ما بين اجزائها من جهة واجزاء الواقعة الخارجية من جهة اخرى ، بحيث يجوز ان نقول عن القضية حقا انها صورة للواقعة المراد تصويرها فان وجودنا انفسنا ازاء قضية لا نجد لها من وقائع العالم ما تطابقه، حذفناها من جملة الكلام المفهوم اذ لا وسيلة لفهم قضية اخبارية الا بردها الى الواقعة المادية التي جاءت القضية لتخبر عنها أو تصورها، (نحو فلسفة علمية) .

ويقول : " اننا نتطلب من العبارة، اذا اراد قائلها ان تكون دالة على وجود فعلي تجريبي لشيء او اشياء في العالم الخارجي ان تكون كل لفظة في الفاظها، اذا اريد ان يكون لها معنى موضوعي (ما عدا الالفاظ البنائية مثل " اذا " و " ليس " و " اذ " وما اليها) مشيرة الى مضمون من الخبرة الحسية بحيث يعرف السامع من دلالة اللفظة في خبراته الماضية من الوان وطعوم واشكال الخ.. فاذا استخدم المتكلم كلمة " نهر " مثلا عرف السامع الى اي نوع من الخبرات الحسية يشير المتكلم بكلمته تلك..

" ولما كان " وضع " الامور في عالم الواقع هو وحده مجال البحث العلمي اطلق على النظرية العلمية اسم "الوضعية" فان كان "الوضع" القائم الذي يشغل الباحث عبارة عن عبارات اللغة او لفظة من الفاظها ، كانت "الوضعية" في هذه الحالة وضعية " منطقية " ، ومن ثم كان هذا الاسم (الوضعية المنطقية) .

هذه هي الفكرة الجوهرية في الوضعية المنطقية . ان تصدق الكلمات في تصوير واقع يمكن اثباته. الكلمات ولو كانت جملا مفيدة محكمة المنطق لا تعني شيئا الا اذا كانت تعبر عن واقع عيني متحقق يمكن ادراكه . فالمنطق الصوري اذن لا يعني صدق اية قضية. وعلى اساس المنطق الصوري يمكن ان يقام بناء فكري كامل ، فارغ لا معنى له لانه لا يمثل شيئا في الواقع . وهو انتهاك واساءة استعمال اللغة . على هذا الوجه طرح الوضعيون المناطقة مشكلة " التسبيب " اللغوي او " استبداد، الحديث

بكلمات مرصوفة منمقة " منطقية " في ذاتها ولكنها مجرد كلمات مقطوعة الصلة بالواقع ، اي كاذبة. ولسنا نريد ان نضيف دليلا الى ما يذكره الوضعيون المناطقة من ادلة على الكلمات والمقالات، بل والمؤلفات ، التي لا تعني شيئا واقعيا، يكفيما ما جاء في العدد الخامس من الشورى من احاديث عن " الثورة العربية " التي تحققت وانجرت في الوطن العربي . انما الذي يهمنا- الان- حتى تكمل الفكرة المختصرة عن تلك الفلسفة ان نعرف مدى ما استطاع اصحابها أن يقدموه حلا للمشكلة.

ان فشلهم يتمثل في محنة واحد من مؤسسي مدرستهم .

محنة فيلسوف شجاع :

لودفج فتجنشتين فيلسوف ولد عام ١٨٨٩ وتوفي عام ١٩٥١. كان في الاصل مهندسا حمله اعجابه بتعين القوانين الهندسية الى دراسة الفلسفة الرياضية . اراد ان يخضع الفكر لقواعد المنطق في مثل يقين واحكام وقوانين الرياضة . نشر في عام ١٩٢٢ كتابه " رسالة منطقية " .

قال :

" اللغة هي ناقلة الفكر. انها تهدف الى تقرير الواقع. وهو ما تحققه عن طريق تصوير هذه الوقائع. فلا بد لها من أن تكون شبيهة من حيث البنية بما جاءت لتصوره فالجملة المثبتة تكون صورة لاحدى حالات الواقع الممكنة. بنفس الطريقة التي يمكن للخريطة التخطيطية ان تصور بها معركة وان تصور بها ترتيبات الاثاث في الغرفة. وهذا صحيح حتى بالرغم من شدة زحام اللغة الاصطلاحية العادية بالمصطلحات الاتفاقية الخاصة والقواعد الجزافية . وهي امور من شأنها ان يتعذر معها تبين الجانب التصوري من اللغة ، تماما كما ان خريطة استراليا قد ترسم بطريقة غريبة في رسم الخرائط تجعلها لا تبدو لنا استراليا عند النظرة الاولى . على ان اللغة الكاملة ممكنة التصور كما انها ممكنة التركيب من حيث المبدأ . وفي مثل تلك اللغة على سبيل المثال تكون علاقة الاشياء الممكنة مصورة تصويرا واضحا تاما عن طريق استعمال اشتقاقي للغة ولكنه استعمال مشروع وهو الاستعمال الذي نصوغ به تحصيلات الحاصل . ونمثل ذلك بمثل بسيط فنقول : اما ان تكون السماء ممطرة واما غير ممطرة . فهما علمان صحيحان صحة خالية من المعنى اذ هما يبننان بشيء . اما فيما عدا صورة الواقعة الكاملة المعنى وتحصيل الحاصل المشروع مع خلوه من المعنى فلا يوجد استعمال مشروع للغة . وكل محاولة تبذل لاستعمال اللغة على صورة اخرى لن تكون الا هراء . وبصفة خاصة تكون جميع الاقوال الميتافيزيقية اشباه قضايا اي انها انتهك خال من المعنى لاستعمال اللغة استعمالا صحيحا ما دامت اقوالا لا هي بالتجريبية ولا هي بتحصيلات الحاصل؟ ..

واضح انه هنا قد ارسى نظرية الوضعية المنطقية.

ولكنه فوجيء بان نظريته الفلسفية هذه تؤدي الى ان تكون هي ذاتها هراء ميتافيزيقيا لا معنى لها. اذ ان التجربة الحسية هي المصدر الوحيد لصدق اية قضية فان القضية الاساسية في الوضعية المنطقية تكون كاذبة . ذلك لان القضية التي تمثل منطلق النظرية وهي " ان اللغة هي ناقلة الفكر وانها تهدف الى تقرير الواقع وهو ما تحققه عن طريق تصوير هذه الوقائع فلا بد لها من ان تكون شبيهة من حيث البنية بما جاءت لتصوره " . هذه القضية، هي مقولة قبلية ميتافيزيقية لا يمكن اثباتها بالتجربة الحسية ومع ذلك فهي اساس فلسفته كلها . وعلى هذا وجد فتجنشتين نفسه امام هذا الحرج. ان صحت فلسفته فهي ليست فلسفة صحيحة .

ماذا فعل؟

نشر كتابه في الفلسفة ثم التزم فكره مسلكا فاعتزل الفلسفة لانها هراء لا معنى له..

هكذا طرحت الوضعية المنطقية مشكلة واقعية تعرضنا على الحذر من استعمال الكلمات مقطوعة الصلة بالواقع ، ولكنها فشلت في حل المشكلة . لان منهجها الى الحل كان خاطئا . فليست التجربة الحسية هي الطريق " الوحيد " للمعرفة. ولا تقل الميتافيزيقية المادية بعدا عن العلم عن الميتافيزيقية المثالية . ايا ما كان الامر فاننا في حاجة الى الحذر الشديد من كذب الكلمات سواء كنا كاتبين او قارئين . وما يزال بعض الكاتبين في الوطن العربي في حاجة الى مثل شجاعة فتجنشتين.

مأساة ابي ذر:

يؤمن ابوذر ايمانا مطلقا بان " الاكتفاء " بالحديث عن الحرية والوحدة والاشتراكية والثورة العربية وفلسطين المغتصبة.. الخ، قد اصبح عارا وضررا. وبأن قد سقطت قيمة الكلمات اذ انتهكت مضامينها واهترت الفاظها فالحرية عبودية والوحدة انفصال والاشتراكية استغلال والثورة العربية استرخاء على صفحات المجالات في حفل من المبارزات الكلامية وفلسطين المغتصبة قد حملت سفاحا ووضعت " خيانة " .. هكذا يؤمن ابوذر. ولكنه- وهذا جوهر مأساته- " عاجز " عن تجسيد هذا الايمان الا بالكلمات المرصوفة على الورق يبذل فيها جهدا ضائعا . ويتقزز ابوذر من الشعور الزائف بالرضى عن النفس الذي يتلورص الكلمات . ومع ذلك ، فهو لا يستطيع ان يدين الكلمات الكبيرة الا بكلمات اكبر . لا يستطيع ان يحارب العار إلا اذا شارك فيه. لا يستطيع ان يلتزم افكاره الا اذا لغاها ..

من يعرف منكم عذابا اكثر هولا من هذا العذاب فليقل عسى ان يكون فيما يقول عزاء . اما الذين لا يعرفون فليصلوا من اجل ابي ذر عسى ان يمنحه الله شجاعة فتجنشتين او بعض شجاعة الغفاري فيصمت او يعتزل .

الم اقل من قبل ان اسباب القطيعة بين الشورى وبينى تتراكم وتنبىء بفراق قريب .

فليهدأ- اذن- رئيس التحرير فأن ما يخصه من تلك الاسباب لا يعدو انه يتصرف على اساس ما "يعتقده " لا على اساس ما هو " واقع " . وليس في هذا شيء جديد، علينا نحن الذين نسمي انفسنا قوميين تقدميين . انه جزء من محنة القطيعة المأساوية بين الفكر والممارسة ايا كان المضمون .

اما ابوذر فهو يحاول ان يجد شجاعة الافلات من عذابه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

القاهرة في ١٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥

الفهرس

الاهداء

- (١) تعارف- على السفود- ابو ذر- الفراسة - اخيرا
- (٢) مع المتشائمين- مرض النكوص- ماذا تريدون- مثال- حكاية من الصين- حوار مع الطليعة- الاركسة والماركسية- موعظة من بابل .
- (٣) رسالة الى رئيس التحرير- من اجل النصر - ا لامر الأول- الامر الثاني- هفوة استاذ - انذار
- (٤) التعب الموهوم- كتاب مظلوم- عقدة المشكلة- حديث الجبهة- التعب الحق - حاشية
- (٥) الحق المر- نقول- مثال رقم ١- مثال رقم ٢ - الوجه الاخر- نصف الحق- التخلف والتنمية- التخطيط الاقتصادي- الفقرة الغربية - اولاً- ثانياً- ثالثاً- رابعاً- التنمية الاقتصادية على اساس الاعتماد على المقدره الذاتية- فذلكة نفسية .
- (٦) تحية للمجهدين- الدين والحضارة- اجتهاد في الاستراتيجية والتكتيك - قال الله تعالى- رد على رسالة شاب عربي .
- (٧) الاخطبوط - التيار الاول- التيار الثاني - التيار الثالث- التيار الرابع- التيار الخامس- التيار السادس- التيار السابع - التيار الثامن- الموقف الاول- الموقف الثاني- الرجل التاسعة- التيار التاسع- درس من الاغتراب الحضاري- استدرارك - المؤسسة الاولى- المؤسسة الثانية- المؤسسة الثالثة- بالمناسبة - الاول- الثاني- السؤال هو- في سؤال واحد .
- (٨) المذهب المحظور- الثورة الشعبية في ليبيا - دفاع عن الحرية- المشكلة الاولى- الانسان والفعل الارادي- بعدا للخوف- المتشائمون - ا لمتفائلون- الرأي الثالث - المشكلة- الحل العمل
- (٩) شكوى الى الله- المسألة- الوعي المفقود - حوار مع الزوار .
- (١٠) كل عام وانتم بخير- الاستفزاز- اولاً : المنطلقات الثورية- ثانياً: الممارسة النضالية- العودة الى التراث الالمانى - المثالية وفتحته- الالم العظيم- عود على بدء - عن الالهام - ثم الاطفال- ثم الكبار- الكشف الصوفي- الوساطة الروحية- الخطأ الخطر- اسرائيل زا نجول .
- (١١) التصحيح الذاتي- النقد.. والنقد الذاتي - الثورة الاجتماعية وقضية الوحدة العربية - البداية- النهاية- مابين البداية والنهاية - المادية الجدلية موضوع مراجعة- موضوع المراجعة- التعديل في المنهج
- (١٢) دعاء- الغطاء القومي- اسئلة واجوبة - معقول- قضية الوجود القومي- اهمية الموضوع- دون كيشوت- دون كيشوت "الشورى"- المطحنة الاولى- المطحنة الثانية- المطحنة الثالثة- المطحنة الرابعة - سانكوبانزا- الاتقان والخطأ .
- (١٣) من ابي ذر الى رئيس التحرير- تكرار البيطار- ذكريات حلوة ومرة- الموسوعة البيطارية- حوار الافكار الشبابية- الوصايا
- (١٤) بيان الى القراء - السؤال المطروح - خطأ المنهج - الاساس الفكري - المرجع- تأريخ ما اهمل التاريخ- الاتجاه الى الجيش- الى من تنتمي ثورة ٢٣ يوليو- ما خفي كان اعظم- لا اعتذر- مشكلة الممارسة الديموقراطية - الوثيقة- التقديم- ما الحل - اذن- حاشية
- (١٥) نقطة على حروف الثورة- حوار وعتاب - جوهر القضية- عدد الكلمات- ما الثورة ؟ ما معنى عربية- الوضعية ا لمنطقية- محنة فيلسوف شجاع- مأساة ابي ذر
- الفهرس